معجزة القرآن

٨

الشعراوي

OLIN
BP
130
.7
S529
Ju2'8

CORNELL UNIVERSITY LIBRARY
3 1924 059 181 291

كتاب اليوم

محمد متولي الشعراوي

معجزة القرآن

الجزء الثامن

لفاجأة شبرا الجديدة

بمعرض الجبراوي

أحدث الأجهزة العالمية والمحلية بالنقد والتقسيط على ٢٠ شهرا

تليفزيونات - راديوهات - ثلاجات - غسالات - بوتاجازات - كريستال عصفور - ساعات

معرض الجبراوي

٢٠٩ شارع شبرا - مبنى سينما التحرير

تليفون : ٩٤٤٦٦٢

مع تحيات
الحاج شكري الجبراوي

CORNELL UNIVERSITY LIBRARIES
ITHACA, N.Y.

■ صورة الشيخ الشعراوى
للفنان مصطفى حسين

■ الغلاف والماكيت : محمد عفت

محمد متولي الشعراوي

معجزة القرآن

الجزء الثامن

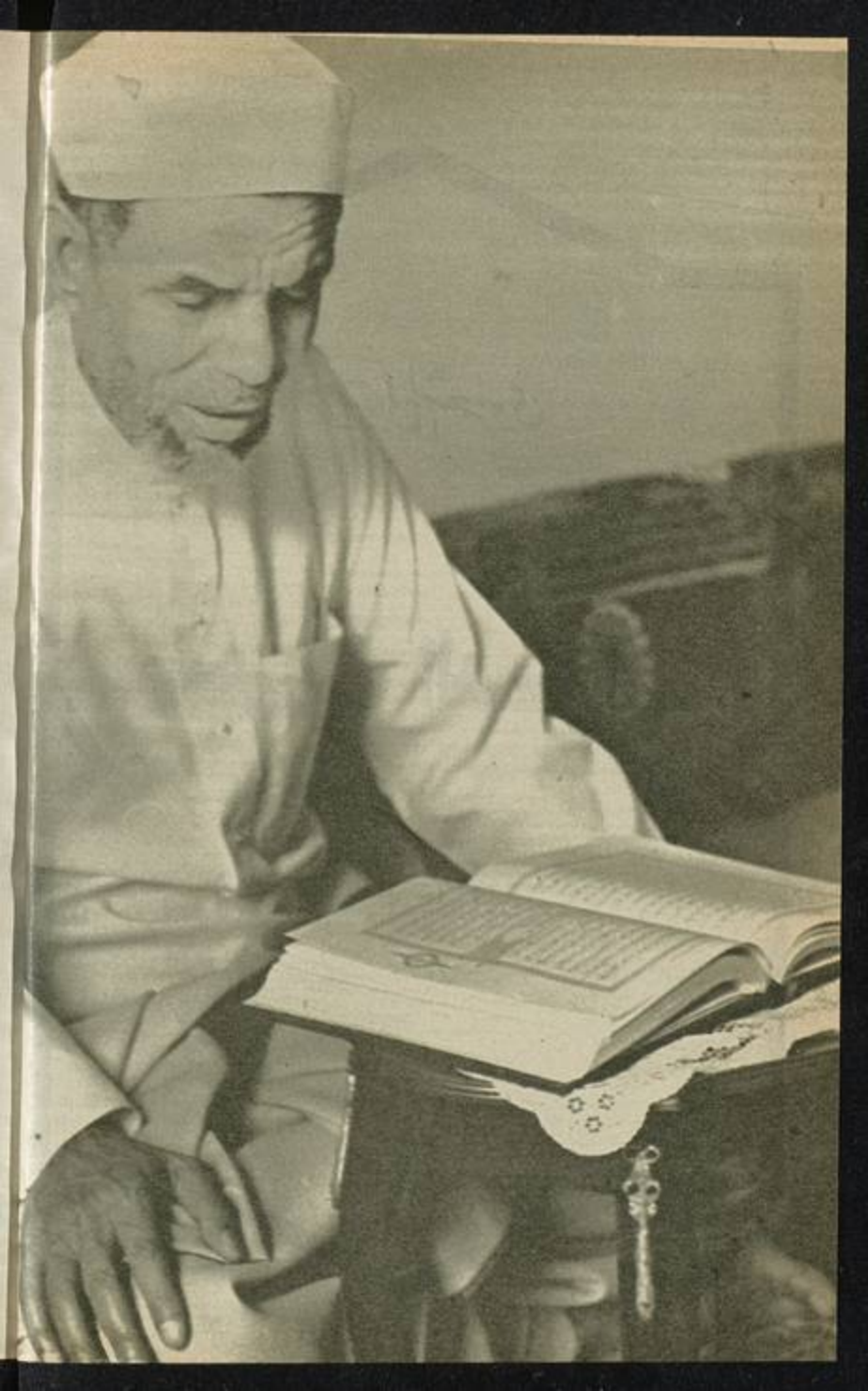

الكون كله نعمة ومنعم عليه .
وأكبر نعم الله . .
أن يتبع الانسان منهجه . .
بفهم وصدق . .

محمد متولى الشعراوى

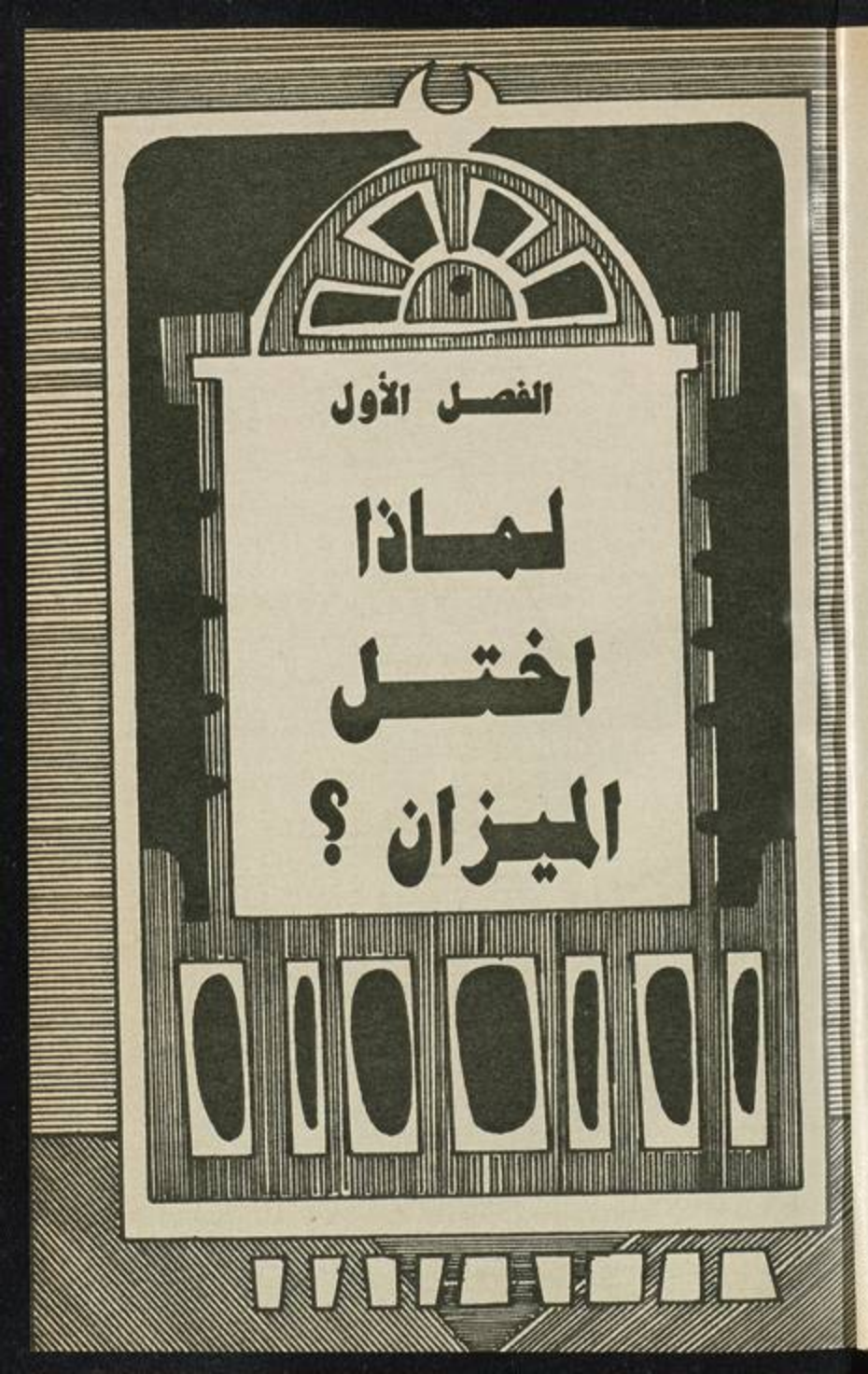

الفصل الأول

لماذا اختل الميزان ؟

عندما نتحدث عن الاسلام فاننا نتحدث عن منهج الله الذى رسمه سبحانه وتعالى للحياة فى الارض . . وهو المنهج الذى لن يصلح الكون الا إذا تم تطبيقه . . ذلك أنه لا يوجد من هو أعلم من الله . . وأحكم من الله . . ليرسم لنا طريق الحياة الآمنة المطمئنة على الأرض .

والله هو الذى خلق الانسان . . وليس أدرى بالشىء من خالقه أو صانعه . . فهو الذى يضع له قانون تشغيله . . وقانون صيانته . . ليؤدى مهمته على أكمل وجه . . ولقد أراد الله سبحانه وتعالى برحمته ليفهمنا ذلك . . فجعل ذلك قانونا أرضيا لا تصلح الحياة إلا به . . فاذا أخذنا التليفزيون مثلا . . فان أول من يضع قانون تشغيله هو الذى اخترعه . . وهو يقول لك افعل كذا واضغط الزر رقم كذا ليعطيك الصورة ، ورقم كذا ليعطيك الصوت . . ثم يضع الصانع « كتالوجا » مع الجهاز يدرسه المتخصصون ويرجع اليه الناس اذا فسد الجهاز وأرادوا إصلاحه . . فاذا ذهبت لتحضر نجارا أو حدادا ليصلح جهاز التليفزيون فانه يفسده . . واذا قلت للناس ذلك فانهم يسخرون منك .

والعجيب أن هؤلاء الناس الذين يسخرون منك اذا فعلت ذلك بالنسبة لأى اختراع أو آلة . . فانهم هم أنفسهم الذين يحاولون

مقاومة تطبيق نفس النظرية على الانسان . . فالله سبحانه وتعالى هو الذى خلق هذا الكون . . وخلق الانسان ووضع القوانين التى تمضى بها الحياة كلها . . ولكن الناس تأتى لتحاول أن تفسد الكون بأن تضع له القوانين التى تروقها . . تماما كما تحضر الحداد أو النجار ليصلح جهاز التليفزيون . . وهى بذلك تدعى - بلا حياء - أنها أعلم من الله بخلقه ، وأعلم من الله بأسرار كونه . . فبدلا من أن تأخذ قوانين الله الخالق والصانع . . تحاول أن تضع هى القوانين . . فنرى القانون الرومانى والقانون الفرنسى . . ألخ

فساد قوانين البشر !

ويمضى الزمن ويظهر فساد قوانين البشر . . وأنها لم تجلب الا الشقاء للبشرية . . فيأخذون فى تعديلها بحجة معالجة المشكلات التى ظهرت عند التطبيق . . وبعد عدة سنوات يتبين أن التعديل لم يصلح شيئا ، فيتم تعديل التعديل . . وهكذا تمضى القوانين البشرية فى حلقة مفرغة . . تتزايد معها المشكلات وتتفاقم معها الداءات . . ولكن أحدا لا يفكر أبدا فى أن يريح البشرية فيرجع الى قوانين الله . . لأن هذه القوانين البشرية كلها لا تصلح حياة الانسان فى الكون . . بل تفسده .

واذا نظرنا للعالم اليوم نجد أنه يملؤه الشقاء . . ولو استمعت الى أى نشرة أخبار فى الاذاعات أو فى الصحف . . لوجدت أنها تحمل من أخبار الدمار والخراب والقتل والحروب . . أكثر مما تحمل من أخبار الخير والبركة والحياة الآمنة للناس . . والحل هو تطبيق قوانين الله . . وهذه ستأتى عن اختيار أو عن اضطرار . .

لأنه لا طريق غيرها . . ولكنها ستكون اضطرارا بعد تجارب مريرة ، وشقاء بشرى يمر به العالم .

وقبل أن نبدأ فى الحديث عن حتمية الحل الاسلامى للبشرية كلها . . لابد أن نفرق بين قوانين الأرض وقوانين الله ذلك أن هناك فرقا جوهريا قد لا يتنبه اليه الكثيرون . . فقوانين الأرض عند التطبيق لا تقتضى أى نوع معين من السلوك . . ولكن قوانين الله تقتضى مع التطبيق سلوكا بالعمل . . ومأساة هذا العصر ليست فى أن نصل الى النص الواضح فى قوانين الله . . ولكن القدوة السلوكية هى القليلة . . بل النادرة . . وقوانين الله محتاجة الى سلوك . . والى قدوة وهذا ما يغيب عنا .

ونفسر ذلك قليلا . . ان الله سبحانه وتعالى يريد من المؤمنين أن يطبقوا قوانينه . . وأن يطبقوها أولا على أنفسهم . . فاذا لم يبدأ الانسان بنفسه . . انتفت القدوة الايمانية التى تجعل الناس يستمعون اليه ويصدقونه . . ونحن فى عصر جرب الانسان فيه كل شىء ، وكل نظريات الدنيا التى تبدو براقة . . ووجد فيها الشقاء والتعاسة . . ولذلك أصبح يحن للرجوع إلى الدين ليخلصه من هذا الشقاء . . ولكن الرجوع الى الدين تلزمه القدوة فيمن يقدمون النصيحة . . أو كما قلت أن يطبق الانسان ما يقوله على نفسه أولا . . ولقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم :

« أنا لا آمركم أمرا أنا عنه بنجوى »

ومن هنا فان أهم ما يلزمنا ليس تعليم الدين فقط . . ولكن سلوكيات الدين . . فهذه هى التى تصنع . . وهذه هى التى تبنى . . وأنا عندما يأتينى رئيس عمل ولا أراه متميزا عنى

الا بالشقاء فى عمله ، والدقة فى حضوره . . فاذا طلب منى أى شىء فاننى أقوم به عن طيب خاطر . . ذلك أننى أحس أنه غير متميز عنى الا بكثرة مسئولياته . . وهو فى هذا يعطينى القدوة السلوكية التى رسمها الاسلام . . والاسلام دين الحق . . ولقد قال لى أحد المستشرقين الذين اعتنقوا الاسلام : إنه آمن بهذا الدين لأن الرسول كان يكره أن يتميز على أصحابه . . ولو أن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يكن رسولا . . وكان يأتى بهذا الدين من عنده . . لكان له هدف من ذلك . . فكل من يكذب يفعل ذلك لهدف . . والكذب فى مدعى النبوة أنهم يريدون أن يسيطروا أو يحكموا أو يحصلوا على نفع عاجل من الذين يدعونهم الى الدين الجديد .

محمد . . القدوة

ولكن محمدا صلى الله على وسلم كان قدوة سلوكية . . فلم يكن يبغى السيطرة . . بل كان يقول دائما : انه بشر رسول . . ولقد عرضوا على رسول الله فى أول الأمر وبدون جهد أو تعب أن يعطوه من المال ما يريد . . فلما رفض عرضوا عليه الملك إن أراد . . فلما رفض عرضوا عليه الزعامة والثروة والجاه والسلطان وكل ما تستطيع الدنيا أن تهبه . . كل هذا وهو فى أول الطريق ولكنه رفض هذا كله .

اذن فالغاية التى من أجلها يدعى الناس النبوة . . أو يبتدعون النظريات . . الغاية ، وهى زينة الدنيا بما فيها ، قد رفضها رسول الله من أول الطريق .

وعندما وجد من يصافحه يرتعد من الانفعال لأنه بصافح

رسول الله قال له : هون على نفسك فأنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد ، أى الخبز الجاف . . وهكذا رفض أن يكون متميزا فى علاقته مع أى ممن اتبعوا دين الاسلام .

وعندما مات ابنه ابراهيم عليه السلام . . حدث خسوف فى الشمس . . وقال الناس : ان الشمس قد انخفست حزنا على وفاة ابراهيم . . فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال :

« ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا تنخسفان لموت أحد » .

وهكذا أرادوا أن يضعوا له مجدا يعطيه السيطرة على القوى الهائلة فى الكون . . ولكنه رفض أن يقبل ذلك . . وكان دائما يباهى ببشريته ، وهذه ليست صفات من يدعى النبوة .

وأخيرا فانه يحدث فى بعض الأحيان أن تكون المثل عند الانسان أكبر من حجم الدنيا . لأنه لم يذق حلاوة المجد والحياة والسلطان والمال ونعيم الحياة . . ولكنه حين تقبل عليه الدنيا قد تتغير مثله وقيمه . . فكم من انسان بدأ مكافحا ، حتى إذا حقق لنفسه الثروة نسى المثل التى قامت عليها حياته . . وأباح لنفسه ما كان يحرمه عليها . . ولذلك نسمع عن كثير من الذين قادوا ثروات الاصلاح فى العالم أنهم انحرفوا عن الطريق . . وأنه لابد من تصحيح مسار الثورة . . وابعاد المنحرفين عنها . .

ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم رفض بعد أن انتصر الاسلام وانتشر فى الجزيرة العربية وثبت أقدامه . . رفض أن يحصل على ميزة شخصية . . فلا هو بنى لنفسه قصرا . . بل ظل يعيش فى بيته . . ولا هو أنشأ لنفسه حرسا مصداقا لقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ والله يعصمك من الناس ﴾

(سورة المائدة - الآية ٦٧)

ولا هو كان بيته ممتلئا بالولائم وفاخر الطعام . . بل كان كما قالت السيدة عائشة رضى الله عنها تمر الأيام ولا توقد فى بيتنا نار . . فكان يعيش على التمر والماء . . ولا هو حقق لزوجاته ثروة من مال الدنيا . . بل منع عنهن الغنائم دون سائر نساء المسلمين . . ولا هو ترك ثروة لذريته ، بل قال : لا لنفسى . . ولا لذريتى . . نحن معشر الأنبياء لا نورث . . وما تركناه صدقة .

وينهى المستشرق حديثه . . بأن رجلا هذا خلقه لابد أن يكون صادق الرسالة . . ورسول الله الحق الأمين .

أمثلة من الحياة

واذا كانت البشرية تعانى ما تعانى فانها لابد أن تعود مضطرة ومقهورة الى قوانين الله فى الأرض اذا أرادت إصلاحا . . وفى ذلك نستطيع أن نضرب الأمثلة التى بدأت تتحقق .

أول هذه الأمثلة هو الطلاق . . والله سبحانه وتعالى أباح الطلاق . لأن الحياة لا تستقيم الا به . . وجاءت الكنيسة الكاثوليكية تحرم الطلاق ، وتدافع عن ذلك بأنه حفظ لكيان الأسرة الى آخر ما قيل وما يقال . . ومضت السنوات وتفاقمت المشكلات ، وبدلا من أن يحفظ عدم الطلاق الأسرة هدمها . . وانحرف الزوج . . وانحرفت الزوجة . . وضاع الأولاد . . واضطرت الكنيسة الكاثوليكية مرغمة أن تبيح الطلاق . .

لم يحدث ذلك اقتناعا بالدين الاسلامى . . ولا ايمانا بقوانين الله . . ولكنه حدث لأن الحياة لا تستقيم بدونه .

والمثل الثانى مسألة أن ترضع الأم طفلها . . حكم من الله سبحانه وتعالى أن تكون الرضاعة مدة عامين ، مصداقا لقوله سبحانه :

﴿ والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين ﴾

(سور البقرة ـ الآية ٢٣٣)

وجاءت المجتمعات غير الاسلامية لتقدم نوعا من اللبن للأطفال يعطى لهم بعد أسابيع من الولادة . . وقالت : ان هذا اللبن يعطى الطفل من العناصر الغذائية ما لايعطيه له لبن الأم . . وصدق الناس هذه النظريات ، واندفعوا بلا وعى وراء ألبان الأطفال التى تبيعها الصيدليات . . وضاع الزمن ، وهذ الوهم الكبير يسيطر على العالم . . الى أن اكتشفوا أخيرا الأضرار الهائلة التى تحدث للطفل الذى لم يرضع من لبن أمه . . ومن نفس المكان الذى انطلقت منه نفس الصيحة عن الألبان من غير لبن الأم التى تعطى للأطفال . . انطلقت الصيحة هذه الأيام لتقول : ان الطفل الذى لا يرضع من لبن أمه ينشأ عليل الجسد عليل النفس . . وان الأم لابد أن ترضع طفلها اذا كانت تريد أن ينشأ ابنها نشأة طبيعية . . وهكذا عادت المجتمعات الغربية التى تبهر بعض الناس بما يسمونه التطور العلمى . . عادت هذه المجتمعات الى قانون من قوانين الله ، وأن الأم لابد أن ترضع طفلها . . عادت الى قول الله سبحانه وتعالى :

﴿ والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين ﴾

(سورة البقرة ـ الآية ٢٣٣)

هل عادت بالايمان . . ؟ . . هل عادت لأنها آمنت بالاسلام ؟ . . لا . . لكنها عادت ، لأن الكون لا يصلح الا بقوانين الله .

والمثال الثالث هو عقوبة القتل . . والله سبحانه وتعالى قد شرع هذه العقوبة ، جزاء لقتل النفس البشرية والفساد فى الأرض . . فقال سبحانه وتعالى :

﴿ إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا ، أو يصلبوا ، أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف . . ﴾

(سورة المائدة ـ الآية ٣٣)

كما شرع الله سبحانه وتعالى عقوبة القتل بالنسبة للقاتل . . قال سبحانه وتعالى :

﴿ وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين . . ﴾

(سورة المائدة ـ الآية ٤٥)

وجاءت بعض المجتمعات الأوربية وألغت عقوبة الاعدام . . وصفق الناس وهللوا . . وقالوا هذه هى المدنية . . ومن هذه الدول : بريطانيا وايطاليا . . ومرت السنوات ، واذا بالجريمة تنتشر فى هذه المجتمعات انتشارا مروعا ، حتى ازداد معدلها بنسب كبيرة . . واذا بنفس هذه الحكومات التى قالت بأن ذلك

مدنية . . تطالب مرة أخرى بعودة عقوبة الاعدام كحل ضرورى لمواجهة زيادة الجرائم وبخاصة جرائم القتل والتخريب .

الاقتصاد . . والاسلام

والمثال الرابع فى الربا . . ونظرة واحدة إلى الاقتصاد العالمى الآن ترينا ماذا فعل الربا . . فقد وقعت كل دول العالم فى الديون . . الدول الغنية والدول الفقيرة . . وفى كل يوم يزداد الأغنياء غنى ، ويزداد الفقراء فقرا . . اختل الميزان الاقتصادى للعالم كله . . واجتمع خبراء الاقتصاد فى العالم وقالوا إنه لا حل للمشكلة الاقتصادية . . إلا أن يصبح سعر الفائدة فى العالم صفرا . . ولو أنهم كانوا منصفين لقالوا : انه لا حل للمشاكل الاقتصادية فى العالم والربا موجود . . ولكن كلمة الحق لم تكن تخرج من أفواههم فقالوا سعر الفائدة لابد أن يساوى صفرا .

وعلى أية حال . . فلن يعتدل النظام الاقتصادى فى العالم ما دام التعامل يتم بالربا . . فاذا انتهى التعامل بالربا انصلح اقتصاد العالم . . تلك القضية التى لابد أن نفهمها . . أن العالم كله لابد أن يعود إلى القوانين التى شرعها الله للحياة على الأرض حتى تستقيم الأمور . . فان لم يعد باختيار وإيمان . . فسيعود مضطرا بعد تجربة مريرة تعانى منها البشريةالويل . . وفى هذا يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ﴾

(سورة الصف - الآية ٩)

أى أن منهاج الاسلام ومبادئه ستسود العالم كله ولن تستقيم الحياة بدونها .

الله سبحانه وتعالى أعطانا هذا المنهاج هدية من عنده . . وبين لنا الطريق فى رحمات تنزلت علينا . . وهو يريد بذلك أن يقينا سوء التجربة والخطأ التى سنمر بهما . . ثم بعد ذلك نعود إلى منهج الله . . ولكننا رفضنا هذه النعمة وبدأنا نبحث عن المدنية . . التى هى فى الحقيقة تحاول أن تهاجم الاسلام وتظهره بمظهر الرجعية والوحشية . . وفى ذلك يتحدثون عن عقوبة قطع يد السارق وكيف أنها وحشية . . وينسى هؤلاء أنه فى كل صباح فى العالم تقطع مئات الأيدى والأرجل فى الحروب الصغيرة التى أصبحت تدور فى كل مكان . . وفى حوادث الخطف والنهب والاعتداء على الأعراض التى زادت بنسب هائلة فى كل أنحاء العالم . . ان الأيدى التى تقطع فى لبنان وحدها كل صباح . . أكثر من الأيدى التى قطعت كقصاص من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يومنا هذا . . فأين هى الوحشية . . ومن هم المتوحشون ؟ ومن هم المتمدينون ؟

على أن لله سبحانه وتعالى فى كونه آيات كثيرة تظهر إعجاز الله . . ونحن لا نفهمها . . فقوانين الكون . . وقوى الكون التى تحارب هذا الدين إنما تظهر الحق فيه . . وذلك أن الجمال فى الكون هو أن يوجد الشر بجانب الخير . . وأن نرى الحق ينتصر على الباطل . . فالله سبحانه وتعالى حين وضع قوانين كونه . . وضعها بحكمة ودقة . . ليسير الكون إلى غايته . . فالله سبحانه وتعالى جعل لكل مجد نصيبا ليكون هناك العمل . . فلو أن الطالب الذى يذاكر نجح . . والطالب الذى لم يذاكر نجح . . لاختفى الجمال فى الكون . . لماذا ؟ . . لأنه فى هذه

الحالة لن يذاكر أحد ، وسيصبح الناس أميين وتنتهى حضارة البشرية التى أرادها الله للانسان . . ولكن الجمال فى الكون هو أن يرسب الذى لا يذاكر ، وينجح الذى يذاكر . . وأن يتم كشف أسرار الكون للعالم الذى يبحث عنها . . ولا يتم لمن لا يبحث . . وأن يعرف الذى يدرس أكثر من الذى لا يقرأ . . تلك أسباب وضعها الله سبحانه وتعالى ليرقى الكون المخلوق الله إلى الحضارة التى خلقها الله . . ولو أعطى الله سبحانه وتعالى الحضارة للانسان بدون علم لحطم نفسه وانتهى الكون . . ولو أعطاه علما بدون حضارة لأحس الانسان تفاهة قيمة العلم . . ولكن الاثنين يكمل بعضهما بعضا .

والاسلام قبل كل شىء هو سلوك . . والانسان المسلم يجب أن يسلك سلوك الاسلام . . ولكن القليل هم الذين يفعلون ذلك . . ولو أنهم فعلوه لأحسوا عظمة هذا الدين وما يقدمه من سلوك طيب ومنهج كريم .

شيئان فى الكون

ان فى هذا الكون شيئين : شيئا يفعل لك . . وشيئا ينفعل بك . . فالشىء الذى يفعل لك يستوى فيه الناس جميعا . . كافر ومسلم . . فالشمس مثلا تفعل لك . . فهى تشرق كل صباح ، ولا تخص بنورها كافرا أو مسلما . . أو شاكرا لله وجاحدا لنعمته . . كلهم سواء . . عطاء الشمس للجميع بلا تفرقة . . والهواء مثلا تتنفسه كل الكائنات الحية بدون أى تفرقة بين جاحد لنعمة الله وشاكر لها . . والماء يشرب منه كل كائن حى وبصرف النظر عن دينه وعقيدته وإيمانه بالله

وكفره . . هذه الأشياء تفعل كثيرا . . الشمس تعطينا النور والطاقة وأسباب الحياة إلى آاخر ذلك . . والهواء يعطينا أسباب الاستمرار فى الحياة . . والماء يعطينا الحياة نفسها

﴿ . . وجعلنا من الماء كل شىء حى ﴾

(سورة الأنبياء - الآية ٣٠)

. . كل هذه الأشياء تفعل لك . . وهى تفعل بلا تمييز ، لأنها عطاء من رب العالمين . . فهى عطاء ربوبية . . ولقد شاء الله سبحانه وتعالى أن يمنح عطاء ربوبيته للجميع . . لأنه رب الجميع . . رب العالمين . . وما دام هو الرب الذى استدعاك للوجود . . وجاء بك إلى هذه الحياة ، فهو يكفل لك بنعمه أسباب الاستمرار فى الحياة .

نأتى بعد ذلك إلى الأشياء التى تنفعل بك . . وارتقاء الانسان فى الكون يتم فيما ينفعل به . . لا فيما ينفعل له . . وما ينفعل بك ان فعلت ينفعل . . فإذا حرثت الأرض حرثا جيدا ، ثم وضعت فيها البذرة . . ثم واظبت على رعايتها تعطيك ثمرا جيدا ، ومحصولا وفيرا . . وإن بحثت فى باطن الأرض وجدت البترول والمعادن تعطيها لك الأرض . . لأنك فعلت فهى تنفعل بك . . وفى هذا لابد أن نتنبه إلى قول الله سبحانه وتعالى :

﴿ له مافى السموات وما فى الأرض ، وما بينهما وما تحت الثرى ﴾

(سورة طه - الآية ٦)

. . ذلك أن هذه الآية قد نزلت منذ أربعة عشر قرنا . . ولم يكن أحد فى ذلك يعرف ما تحت الثرى سوى آبار المياه التى يحفرها

الناس . . فأخذت على هذا المعنى . . ثم تقدم العلم ليكتشف لنا أن فى باطن الأرض كنوزاً تزيد على ما فوق سطح الأرض . . فتنبهنا إلى قوله تعالى :

﴿ وما تحت الثرى ﴾

. . وعرفنا أن الله سبحانه وتعالى قد أنبأنا فى قرآنه الكريم منذ أربعة عشر قرنا أن هناك كنوزاً فى باطن الأرض . . ولو تنبهنا إلى هذه الآية لبحثنا عن هذه الكنوز . . ولكن وقت أن نزل القرآن لم يكن قد جاء موعد ميلاد ما تحت الثرى ليخدم الانسان فى حياته . . ويؤدى دوره للحضارة الانسانية . . ومر الزمن ووجدنا تحت الثرى الكثير والكثير . . وربما بعد سنوات سنكتشف أكثر وأكثر .

وهكذا نجد أن الارتقاء فى الحياة وفى الكون يأتى من الأشياء التى تنفعل بك . . والذين لا يقومون بأى جهد مع الأشياء التى تنفعل بالانسان فى الأرض لا يتقدمون ، ويظلون متأخرين . . وهذا ما يحدث الخلاف فى التقدم والارتقاء بين الأمم والناس . . فتخلف أى شعب إنما يتم لأنه لا يقوم بأى جهد مع الأشياء التى تنفعل به فى الكون . . وتقدم أى دولة إنما يتم بالتعامل مع الأشياء التى تنفعل بالانسان . . والأشياء التى تنفعل بك يجب أن تقدم لها عملا لتحصل على نتيجة . . فهذه الأشياء أيضا لا تفرق بين مسلم وكافر . . ومؤمن وملحد . . فالكافر الذى يحسن حرث أرضه وخدمتها وريها يحصل على أجود أنواع البذور ، ويجنى محصولا وفيرا . . والمؤمن الذى يهمل أرضه ولا يزرعها لا تعطيه شيئا ، لأنه لا يطبق قوانين الله فى كونه . . والملحد أو الكافر الذى

يستخدم أحدث الأساليب العلمية يجنى ثمار التقدم . . فهو يبحث عن المعادن فى باطن الأرض بأحدث الأساليب التى وصل إليها العلم فتظهر له هذه المعادن لأنها تتفعل به . . والمؤمن الذى يترك المعدن فى باطن الأرض ولا يبحث عنه ، لا يخرج المعدن له .

ولقد جعل الله ما على الأرض زينة لها . . مصداقا لقوله تعالى :

﴿ إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها ﴾

(سورة الكهف - الآية ٧)

ليجتذب الانسان إلى العمل . . والزينة هى ما يخلع على ذاتيات الأشياء ليجعلها أكثر جاذبية . . فالمرأة مثلا تتزين لتصبح أكثر جاذبية للرجل . . وزينة الأرض هى أن تصبح أكثر جاذبية للانسان ليعمل . . فالانسان حين يرى حديقة جميلة ، أو عمارة فخمة يتمنى أن يزرع أو يبنى مثلها . . فتكون هذه الزينة حافزا للانسان على أن يعمل . . فكأن الله جعل ما على الأرض زينة لها ليجذبنى إليها .

. . ويقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ هو أنشاكم من الأرض واستعمركم فيها ﴾

(سورة هود - الآية ٦١)

. . معنى استعماركم ، أى طلب منكم عمارتها . . وذلك لا يأتى إلا بأمرين : أن تبقى الصالح على صلاحه لا تفسده . . وأن تصلح الفاسد وتزيد إصلاحه . . وزينة الله على الأرض من أثرين . . آثار خلق الله . . وهى الطبيعة التى وهبها الله لنا دون

أن يكون لنا جهد فيها . . وآثار ما فعله الانسان بما علمه الله له ليزين به الأرض .

حتمية الحل الاسلامى

هنا نأتى إلى حتمية الحل الاسلامى . . وهذا يظهر فى قول الله سبحانه وتعالى :

﴿ ويسألونك عن ذى القرنين . قل سأتلو عليكم منه ذكرا . انا مكنا له فى الأرض ، وآتيناه من كل شىء سببا ، فاتبع سببا ﴾

(سورة الكهف الآيات ٨٣ ـ ٨٥)

. . ومعنى ذلك أن الله أعطى لذى القرنين أسباب القوة والحكم فى الأرض . . ولكنه لم يقتصر على ما أوتى . . لم يقف على ما فعل له . . بل اتبع سببا . . أى أخذ بالأسباب فيما ينفعل به . . ولقد أورد الله هذه الآية الكريمة ليرينا الأسلوب الصحيح فى مواجهة الحياة . . ذلك أن الانسان يجب ألا يكتفى فيما ينفعل له ولا يفعل شيئا . . بل يجب أن يأخذ هذا العطاء ويعمل من أجل أن يضيف إليه . . وأن يتفاعل مع العناصر التى خلقها الله لتنفعل بعمل الانسان فى الأرض ، وذلك مصداقا للحديث الشريف :

﴿ لا خير فيمن لا يضيف ﴾

. . والاضافة بمعناها العام . . أنك أنت إن عملت للكون ، يكون فى خدمتك ليعطيك الخير الكثير . . فلا بد أن تعطى عطاء الكون ، وإلا أصبحت الحياة جامدة وغير متحركة

ولا متطورة . . ويتوقف تطور البشرية ونموها . . أى أن الله سبحانه وتعالى يطلب من الانسان أن يتفاعل مع بيئته ومع الكون . . وينهانا عن أن نقف أمام قطعة من الأرض ولا نفعل شيئا . . بل لابد للانسان أن يعرف ويدرس كيف يحرث هذه الأرض ، وما هى النباتات الصالحة لها ليحصل على أحسن النتائج .

ومن هنا نصل إلى أن العالم لكى يتقدم ويعيش فى سلام وأمان . . لابد أن يتبع القوانين التى وضعها الله سبحانه وتعالى فى هذا الكون . . وهذه القوانين متكاملة . بمعنى أنك لا تستطيع أن تأخذ من هذه القوانين ما يعجبك . . وتترك منها مالا يعجبك . . فأنت فى هذه الحياة لابد أن تتعامل مع أسباب الأرض التى تنفعل بك ، لأن فيها الرقى فى الحياة . . وهذه توفر لك التقدم . . وتوفر لك خيرات الأرض . . وتوفر لك الاكتشافات العلمية التى تعطيك الرفاهية . . وأن تتعامل مع منهج الله فى الأرض ، وهذا يوفر لك الحياة الآمنة المطمئنة . . ويوفر لك الأمن والأمان . . ويعالج داءات المجتمع التى هى آفة البشرية كلها . . فلا تحسب أن الغنى والمال وحده يستطيع أن يعطيك الاتزان فى الحياة . . وإذا كنت فى شك من ذلك ، فابحث عن الشواهد . . ستجد أن أعلى نسبة للانتحار والجنون موجودة فى الدول المتقدمة ماديا ، تلك التى تحسب أنت أن شعوبها أكثر الشعوب سعادة فى الأرض . . فالسويد والولايات المتحدة مثلا فيهما أعلى نسبة من الدخل للفرد . . وفيهما أيضا أعلى نسبة من الجنون والانتحار . . ذلك لأن الحياة هناك فقدت اتزانها . .

أخذت عنصر التفاعل مع مواد الأرض فتقدمت . . وتركت عنصر الميزان الذى وضعه الله لتأمين الحياة فى الأرض ، فاختلت الحياة فيها . . ولم تعد هى القادرة على تكوين المجتمع الآمن المطمئن الذى وضع الله قوانينه للحياة الدنيا . .

ثم بعد ذلك بعدت هذه الدول عن منهج العبادة الذى هو الأساس الذى يعطى للنفس البشرية مقوماتها الروحية . . فالانسان إذا آمن بالآخرة وعمل لها ملأت نفسه السكينة . . وأحس أن هناك حسابا فحاسب نفسه قبل أن يحاسبه الله . . فلا يقدم على مال حرام ولا يخون الأمانة . . ويعمل فى سبيل الرزق وهو يعلم أن رزقه سيأتيه . . والعمل الذى يقدمه الانسان فى سبيل رزقه هو نوع من العبادة ، لأننا نطيع قوانين الله فى الأرض . . ورسول الله صلى الله عليه وسلم حين وجد رجلا معتكفا فى المسجد يصلى ليل نهار . . سأل من يكفله . . فقيل يا رسول الله يكفله إخوته . . فقال صلى الله عليه وسلم : كلهم أعبد منه . . ورسول الله يقول :

﴿ إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه ﴾

. . ويقول :

﴿ من استحل الأجر حاسبه الله عن العمل ﴾

. . وهكذا نرى أن العمل نوع من العبادة . . أمر الله به عباده ليرتقوا فى الأرض . . وأنه طلب أن يأخذوا بالأسباب حتى يعطيهم العطاء فى الدنيا ، والعطاء فى الآخرة .

وبهذا نصل إلى ختام الفصل الأول . . هو أن الله سبحانه وتعالى قد رسم الحياة الطيبة الآمنة لعباده ، وحددها لهم . . وأن هؤلاء العباد بدلا من أن يأخذوا هذه الأسس ويطبقوها تطبيقا عمليا وسلوكيا . . ابتعدوا عنها إلى قوانين البشر التى أساسها عدم العدل ، وهوى النفس . . فعم الشقاء فى الكون . . ومهما طال الزمن فإن البشر سيعودون إلى قوانين الله . . ولكنهم سيعودون إليها مضطرين بعد أن تطحنهم المشكلات والآلام . . سيعودون إليها لأنها الطريق الوحيد لتخليص الانسانية من الشقاء الذى صنعه البشر لأنفسهم . . وأن الله سبحانه وتعالى برحمته قد شاء أن يجنب عباده هذا الشقاء . . فنزل عليهم من السماء كتابا يهديهم إلى الطريق السوى . . ولكنهم بغرورهم البشرى أعرضوا عنه ، واختاروا الطريق الذى وسوس لهم به الشيطان .

على أن الله سبحانه وتعالى قبل أن ينزل آدم إلى الأرض ليباشر مهمته عليها قد أدخله التجربة . . عله يستفيد ويعرف أين الحق وأين الخطأ . . وبين له بتجربة عملية ما هو الطيب ، وما هو الخبيث حتى يتجنب الخطأ فى الدنيا ، ويعرف أن الشيطان عدو له . . ولكن الانسان بما أعطاه الله من اختيار . . ابتعد عن الطيب ، واختار الخبيث . . وهذا هو موضوع الفصل القادم .

■ ■ ■

الفصل الثانى
وخلق الله
الانسان

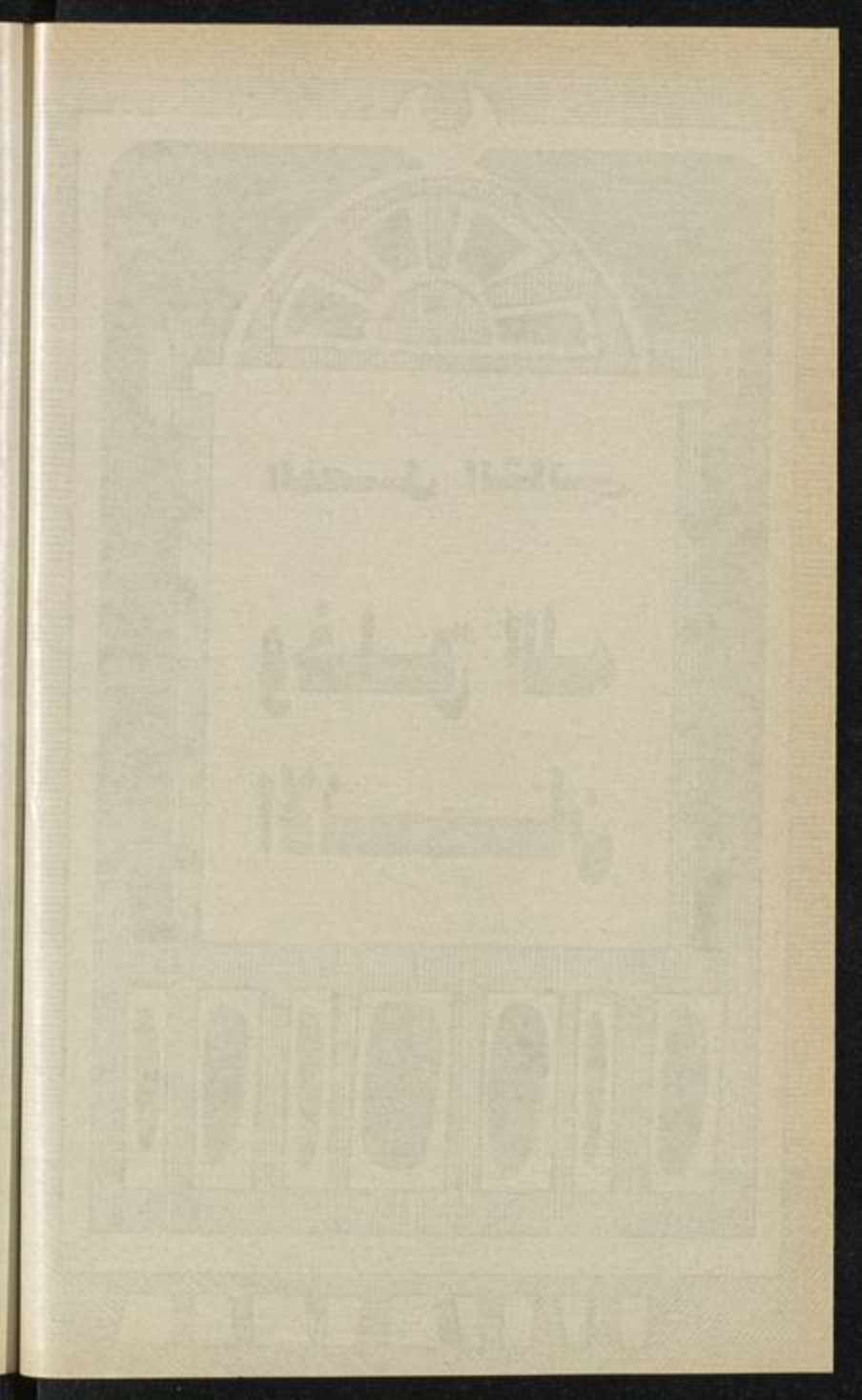

ولنبدأ من البداية . . لنعرف ما هى مهمة الانسان فى الأرض . . ونعرف كيف حدد الله له هذه المهمة . . وماذا فعل الانسان بتكليف من الله . . وما هو الحل لمشاكل هذا العالم ؟

خلق الانسان هو غيب عنا . . فلم يشهد أحد منا كيف خلق . . حتى يستطيع أن يقول ان الانسان خلق هكذا . . أو حدث له كذا . . وكذا . . أو يفتى فى كيفية الخلق . . بل ان خلق السموات والأرض هو غيب عنا . . فلم نشهد خلقها حتى نصل إلى حسم فى هذه النقطة بالذات . . نقول ان كيفية الخلق فى كل شىء هى غيب عنا . . وإنها علم اختص به الله سبحانه وتعالى ذاته الكريمة . . لا يعرف أحد عنه شيئا . . وفى هذا يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم ، وما كنت متخذ المضلين عضدا ﴾

(سورة الكهف ـ الآية ٥١)

ومن هنا فإن هذا الموضوع محسوم . . وما دام الخلق غيبا عنا لم يشهده أحد . . فلا بد أن نأخذ العلم منه عن الخالق سبحانه وتعالى . . فاذا روى الله لنا كيف خلق السموات والارض وكيف خلق الانسان فكلام الله المصدر الوحيد للعلم فى هذا الموضوع . .

وكل كلام بشرى يدور حول ذلك . . هو كلام مرفوض لا يستحق المناقشة . . لأنه كلام ممن لم يخلق . . ولم يشهد الخلق . . ولا يشهد خلق نفسه .

وقبل أن نبدأ الحديث لابد أن نتنبه إلى عنصرين اساسيين . . هما من تمام عدل الله سبحانه وتعالى وقدراته . . العنصر الأول أن الله أعد الأرض للانسان ليستطيع الحياة عليها . . والعنصر الثانى أن الانسان قبل ان ينزل إلى الأرض أعطاه الله سبحانه وتعالى تجربة عملية مر بها . . وكانت هذه التجربة فى وضوحها كافية لترى الانسان ما هو منهج الحياة ، وماذا سيلاقى ، وكيف يواجه ما سيلاقيه .

هذان هما العنصران الاساسيان فى إعداد الانسان للحياة على الأرض . . عطاء الله سبحانه وتعالى يوفر للانسان مقومات حياته . . وتجربة تعطيه مفهوم الحياة . . وتبين له الحق والباطل . . وتريه رؤية العين ماذا يفعل الزيف وماذا تفعل الحقيقة .

وكان العنصر الاساسى الاول هو أنه ما دام الله سبحانه وتعالى هو الذى استدعى الانسان للوجود فلابد أن يوفر له مقومات حياته الاساسية . . ومن هذا المنطلق خلق الله سبحانه وتعالى الكون بتمام قدراته وقبل ان يخلق الانسان . . فخلق الشمس والقمر والنجوم . . وخلق الأرض والماء والهواء . . وخلق النبات والحيوان . . كل هذا خلقه الله ليكون مسخرا لخدمة الانسان فى الأرض فخلق الله اجناس الوجود بعضها تخدم بعضا . . وكلها تخدم الانسان . .

فالجماد خلقه الله ليخدم اجناس الوجود كلها ، وهى النبات والحيوان والانسان . . فالجماد وهو فى خدمة الكون كله . . ثم يأتى بعد ذلك النبات ، وهو يخدم الحيوان والانسان . . فيعطيهما مقومات الحياة من الطعام وغيره . . ثم خلق الحيوان الذى يتغذى على النبات ، فجعل الله الجماد والنبات فى خدمة الحيوان . . ثم خلق الانسان الذى جعل كل ما فى هذا الكون من جماد ونبات وحيوان مسخرا له . .

وقد تم هذا الخلق بكمال قدرات الله سبحانه وتعالى . . وكل ما خلقه الله فى الكون . . لم يستعن فيه بأحد . . فملك الله هو من خلق الله بكمال قدراته . . ولذلك فلو آمن من فى الارض جميعا ما زادوا فى ملك الله شيئا . . ولو كفروا جميعا ما نقصوا من ملك الله شيئا . .

وهكذا شاء عدل الله أن يعطى للانسان كل مقومات حياته قبل ان يخلقه ليمارس مهمته فى الأرض . . ولكن بعض الناس يقول : إن مقومات الحياة قد تغيرت . . وان العلم والحضارة قد أعطيا للانسان من مقومات الحياة ما لم يكن موجودا عند بدء الخلق وبدء الخليقة . . نقول : إن هذا غير صحيح . . فالحضارة لم تخلق مقومات للحياة . . ولكنها وضعت فى حياة البشر نوعا من الرفاهية . . وليس أكثر من ذلك . . وانما مقومات الحياة هى من خلق الله سبحانه وتعالى . . فلا يمكن ان يدعى العلم أنه خلق الماء . . ولكنه يمكن أن يقال إن العلم قد أضاف الرفاهية إلى استخدام الماء . . فبدلا من أن كنت تضطر لأن تذهب إلى البئر أو إلى النهر لتشرب . . جاء العلم لكى يصل الماء إلى

مكانك بحيث تستطيع أن تحصل عليه فى الحجرة أو الشقة التى تعيش فيها بواسطة المواسير التى تحمل الماء اليك . . وأضاف العلم إلى ذلك أنه يستطيع أن يعطيك الماء مثلجا فى الصيف ، وساخنا فى الشتاء بعمليات ميكانيكية . . ولكن هل خلق العلم لك الماء ؟ . . الجواب طبعا لا .

ونمضى فى التساؤل . . هل خلق العلم الهواء ؟ . . الجواب طبعا لا . . ولكنه اخترع أجهزة لتنقى الهواء من شوائب المصانع . . وأجهزة تكييف تجعل الجو باردا أو حارا حسب رغبتك . . اذن هو اضاف الرفاهية ولكنه لم يخلق . . هل خلق العلم الأرض والنبات مما يأكله الناس ؟ . . الجواب طبعا لا . . فلا أحد يستطيع أن يدعى أنه خلق الأرض ، أو خلق حبة واحدة من النبات . . ولكن الذى حدث أن العلم قام بنوع من التهجين لتصبح الثمرة أكثر حلاوة ، أو لتعطى البذرة محصولا أوفر بجهد أقل . . أى أنه أضاف الرفاهية ولكنه لم يخلق شيئا . . وهكذا فى الكون كله . . اذا نظرنا للعلم فإنه مجرد اضافة للرفاهية أراد الله سبحانه وتعالى أن ييسرها لخلقه . . فبدلا من أن أذهب مثلا لمشاهدة مباراة فى كرة القدم . . أصبحت اشاهد هذه المباراة وأنا جالس فى منزلى عن طريق التليفزيون . . فالانسان استخدم الغلاف أو خصائص الغلاف الجوى الذى خلق الله فى أن يوفر الرفاهية لتنتقل الصورة من مكان إلى مكان فى ثوان معدودة . . ولكن العلم لم يخلق العينين اللتين أرى بهما . . أو الغلاف الجوى الذى ينقل الصورة وهما الاساس لما حدث .

وكان الانسان يسافر ماشيا . . فهداه الله الى استخدام الانهار

والسيارات والطائرات . . كل هذه لم تعط الانسان الحركة . . ولكنها يسرتها له . . فالانسان مازال قادرا على أن يستغنى عن كل هذا .

ويسافر على قدميه أو على دابة من مكان إلى آخر . . كل ما حدث هو أن المشقة رفعت .

وأتى العلم بالرفاهية الى حياة البشر . . ولكن ضروريات الحياة . . خلقها الله ولم يخلقها العلم .

الله سبحانه وتعالى خلق الارض وجعلها لحياة الانسان . . فجعل فيها مسطحات هائلة بالماء لتمد الانسان بالمطر والماء العذب اللازم للحياة . . واودع فى الأرض أرزاقها ، فجعل مخازن الطعام فى الجبال التى فيها الطمى الخصب . ينزل المطر ، ويجرفه إلى الأنهار ليغذى الارض فتصبح صالحة للانبات . . فيخرج الزرع مختلفا ألوانه ليأكل منه الناس . . وقدر الله فى الأرض رزقها إلى يوم القيامة .

وهنا نقف لنتساءل . . ماذا عن المجاعات التى تحدث فى العالم . . مع أن الله كفل الرزق والكفاية للجميع بعطاء ربوبيته . . نقول إن ذلك من صنع الانسان . . فهو الذى كفر بنعمة الله وبددها . . فالنبات الذى تخرجه الارض يكفى الناس جميعا ليأكلوا بحيث لا يوجد جائع واحد . . ولكن ما الذى يحدث ؟ البشر بدأوا يحجبون رزق الارض عن الانسان . . فنرى دولة كالبرازيل تلقى الملايين من البيض فى البحر حتى لا ينخفض سعره فتحرم ملايين البشر من رزق يسره الله لهم لتحقق جشعا انسانيا . . ونرى دولا اخرى تحرق البن حتى تحتفظ بسعره مرتفعا

فى العالم . . ونرى دولة كأمريكا مثلا تدفع للزراع مئات الملايين من الدولارات حتى يتركوا الأرض بدون زراعة بالنسبة للقمح وعدد آخر من المحصولات حتى يحتفظوا بسعره العالمى كما يقولون . . وهكذا نرى ان الارض تنتج ما يكفى البشر أو يزيد . . ولكن جشع الانسان هو الذى يحجب هذا الطعام عن اخيه الانسان فتحدث المجاعات . . بل وأكثر من ذلك أن عددا من الدول التى تملك أراضى صالحة للزراعة مشغولة بتوافه الدنيا والمنازعات والحروب عن أن تجعل الأرض تنفعل بها وتعطيها الثمار .

ومن معجزات الله فى خلقه أنه كلما زاد تعداد العالم . . كشف الله من العلم للانسان ما يمكنه من أن يزيد انتاج الارض . . فكل الاكتشافات العلمية الجديدة التى يسرها الله لخلقه بالنسبة للزراعة . . لو تتبعناها لوجدنا أنها تزيد من انتاج الارض كلما زاد عدد سكانها . . وهكذا تمضى الحياة بدقة إلهية متناهية لتخلق فى الارض رزقا جديدا لكل فم جديد يولد . . ولو وزع انتاج الارض بالعدل على البشر كلهم لما وجد جائع . . اذن فالمجاعات هى من ظلم الانسان وافساده فى الارض . . بل إننى أزيد على ذلك هو أنه كلما قدر الله عدم نزول المطر على جزء من الأرض . . زاد الانتاج فى الأجزاء الأخرى بحيث لو نقلنا هذه الزيادة لعالجت الذى وجد . . وهذا من عدل الله . . فلا يمكن ان يحدث جفاف فى العالم كله أو فى أجزاء كثيرة فى وقت واحد . . بل الجفاف يحدث فى جزء صغير يكون باقى الانتاج قادرا على أن يسده ويعالجه .

خلق الله الارض ، وقدر فيها اقواتها الى يوم القيامة . . وقدر فيها رزقها . . وخلق الشمس ولها مهامها فى الحياة . . سواء فى الضوء الذى تعطيه فى النهار أو فى الفجر الذى تسقط به الأمطار . . أو فى إنماء الزرع ، أو فى غير ذلك وخلق الكون كله فى نظام بديع متكامل لخدمة الانسان واعطائه مقومات الحياة . . وفى ذلك يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ قل أإنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين ، وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين . وجعل فيها رواسى من فوقها ، وبارك فيها ، وقدر فيها أقواتها فى أربعة ايام ، سواء للسائلين . ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها ، قالتا أتينا طائعين . فقضاهن سبع سموات فى يومين ، وأوحى فى كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ، ذلك تقدير العزيز العليم ﴾

(سورة فصلت الآيات من ٩ - ١٢)

وهكذا تم اعداد الارض ليعيش فيها الانسان ووضعت له فيها كل مقومات حياته . . وضعت له بقدرة الله . . مسخرة له من الله سبحانه وتعالى . . فوجد الماء ووجد الطعام ووجد الحيوان . . وكان كل ذلك فى خدمة الانسان ومعدا له قبل ان يخلق الانسان ويسكن الارض . وهو معد اعدادا من لدن حكيم خبير . . وضع

للأرض والسموات نظام دقيق لا يختل لحظة مصداقا لقوله تعالى :

﴿ الرحمن علم القرآن ، خلق الانسان علمه البيان . الشمس والقمر بحسبان . والنجم والشجر يسجدان ، والسماء رفعها ووضع الميزان ، ألا تطغوا فى الميزان ﴾

(سورة الرحمن ـ الآيات من ١ ـ ٨)

. . وهكذا نرى ان كل شىء فى الكون خلق بحساب دقيق الشمس لا تتأخر ثانية عن موعد شروقها . . والارض لا تتوقف برهة عن الدوران . . والنجوم والجبال والأنهار كلها تمت بصنع دقيق لتلائم مهمتها . . وبقيت ملايين السنين وستبقى الى قيام الساعة . . لا يحدث على عظم مهمتها خلل ولو جزءاً من الثانية لأنها من صنع الله العليم القدير ، وليست من صنع الانسان الذى تفسد صنعته بعد سنوات قليلة وتحتاج إلى اصلاح ، واصلاح .

نأتى بعد ذلك إلى خلق الانسان . . أعد الله الارض ووضع فيها كل مقومات الحياة وخلق الانسان ليؤدى مهمته فى الارض . . ولنبدأ قصة الخلق :

يقول الله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز :

﴿ وإذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون . فاذا سويته ونفخت فيه من روحى ، فقعوا له ساجدين ﴾

(سورة الحجر الآيتان ٢٨ ـ ٢٩)

قوله تعالى :

﴿ وإذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشرا من طين . فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين . فسجد الملائكة كلهم أجمعون ﴾

(سورة ص ـ الآيات من ٧١ ـ ٧٣)

وقوله سبحانه وتعالى :

﴿ قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى . . ﴾

(سورة ص الآية ٧٥)

الله سبحانه وتعالى أخبرنا أنه خلق الانسان من طين . . ومن صلصال . . ومن حمإ مسنون . . ونحن نأخذ كيفية الخلق عما أنبأنا به الله سبحانه وتعالى لأنه هو الذى خلق . . وكما بينا لقد قال الله سبحانه وتعالى :

﴿ ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ، ولا خلق انفسهم ، وما كنت متخذ المضلين عضداً ﴾

(سورة الكهف ـ الآية ٥١)

فاذا جاء بشر يجادل فى خلق السموات والارض . . ويجادل فى خلق الانسان . . ويقول إن السماء والأرض كان أصلها سحابة أو ذرات خامدة . . أو أن الانسان نشأ بنظرية التطور والارتقاء ، كما ادعى داروين أو غيره ممن جادلوا فى خلق السموات والارض وخلق الانسان . . نقول لهم نحن نعرفكم . أنتم المضلون الذين

أنبأنا الله عنهم فى القرآن الكريم . . والذين يأتون ليجادلوا فى خلق السموات والأرض والانسان . . لقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى بمجيئكم قبل ان تأتوا . . وحذرنا من أنكم ستأتون للاضلال عن سبيل الله ومجيئكم هو تثبيت للإيمان فى قلوبنا . . لأنكم لو لم تأتوا . . ولو لم تحاولوا الاضلال عن منهج الله بنظريات كاذبة . . لقلنا إن القرآن أنبأنا أن هناك مضلين سيأتون ليجادلوا فى خلق السموات والأرض ، وفى خلق الانسان فأيدهم ؟ . . ولكن كونكم أتيتم وجئتم بهذه النظريات الكاذبة التى تحاولون بها نشر الكفر والالحاد . . فانكم بذلك تثبتون قضية الايمان . . فالله لم يشهدكم عملية الخلق . . ولم يطلب منكم العون فى خلق الكون والانسان . . حتى تدعوا ما تدعونه . . والله قد اتخذ منكم ، وأنتم تحاولون نشر الكفر والالحاد . . دليلا على صدق الايمان ، وصدق القرآن . . والله فى كونه يسخر المؤمن والكافر لخدمة قضية الايمان .

نأتى بعد ذلك إلى الخلق كما أنبأنا به الله سبحانه وتعالى . لقد قال الله انه خلق الانسان من طين ومن صلصال ومن حمإ مسنون ثم نفخ فيه من روحه . . ونحن لم نشهد الخلق . . ولكن رحمة الله سبحانه وتعالى أن يجعل لكل قضية غيبية عنا قضية مادية مشهودة تقرب المعنى من عقولنا . . ونحن لم نشهد الخلق ، وهو بداية الحياة . . ولكننا نشهد الموت وهو نقض للحياة . . ونقض الشىء يكون عكس بنائه . . فاذا بدأت بناء عمارة فانت تبدأ بالدور الاول . . فاذا اردت هدمها . . فانك تبدأ بما انتهيت اليه . . فتبدأ بازالة الدور الأخير . . ثم الذى

تحته . . ثم الذى تحته . . وأنت اذا ذهبت من القاهرة الى الاسكندرية فأول ما تبدأ به هو خطوة تبعدك عن القاهرة وتقربك من الاسكندرية . . فإذا أردت ان تعود فانك تبدأ عند النقطة التى انتهيت اليها . . وهكذا طبيعة الاشياء .

آخر ما دخل فى الانسان حسب قول الله سبحانه وتعالى هو الروح . . ولذلك عند نقض الحياة . . فإن اول ما يخرج منك هو آخر ما دخل فيك وهو الروح . . ثم بعد ذلك يتصلب الجسد فيصير كالحمإ المسنون ، اى الطين الذى فيه صلابة الفخار . . ثم يصير طريا كالصلصال . . ثم يصبح طينا يذهب الماء فيه الى الارض . . ثم تحلل عناصر الطين والتراب . . ويعود الانسان الى العناصر الاولى التى خلق منها . . وهكذا كان الموت دليلا على الخلق . . وهو دليل مشهود لنا . . يعطينا بالحس المادى الذى نراه طريقة هدم الحياة التى هى عكس بنائها .

نأتى بعد ذلك الى قول الله سبحانه وتعالى :

﴿ قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى ﴾

وحينما نأتى إلى أى صفة من صفات الله أو فعل من أفعاله . . فاننا لابد أن نرفع ذلك إلى قدرة الله سبحانه وتعالى لأن الفعل يتناسب دائما مع القدرة . . فلله يد . . ولكل منا يد . . ولكن هل يد الله كأيدينا ؟ . . طبعا لا . . حين نصل الى ذلك لابد أن نرفع الأمر الى الله سبحانه ، ليس كمثله شىء . . ولذلك فإن هذا يقع فى يد القدرة التى لايدركها العقل والتى لابد أن نقف أمامها دون أن نحاول أن نضيف أكثر من الله سبحانه وليس كمثله شىء .

ثم يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ ونفخت فيه من روحى ﴾

والروح هى أمر من أمور الله . . وكل الابحاث التى تجرى عن الروح هى مجرد عبث . ذلك أن الروح لا يمكن أن تضعها فى معمل . . ولا أن تجرى عليها التجارب حتى تصل إلى الحقيقة . . والبحث عن الروح يشغل الانسان منذ بداية الحياة . . ذلك أنها سر الحياة الذى عجز البشر عن الوصول اليه عبر السنين . ورغم ان الروح لا تدخل فى طاقة البحث العلمى ، وكل ما يقال عنها ظن وتخمين يفتقر إلى الدليل . . فإن الانسان مازال يحاول أن يعرف شيئا . لقد قام عالم سويسرى فى الفترة الاخيرة بتجربة وضع فيها الانسان عندما يحتضر على ميزان . . ووجد أنه فى لحظة الوفاه يفقد جزءاً يسيرا من وزنه . فادعى أن هذا الوزن هو وزن الروح . . والبعض الآخر أنكر أن لها وزنا . . والكافرون ينكرون وجود الروح ويسمونها الزمن أو الطبيعة .

وحيرة البشرية كلها . . سجلها القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرنا فى قول الله سبحانه وتعالى :

﴿ ويسالونك عن الروح قل الروح من أمر ربى . وما أوتيتم من العلم الا قليلا ﴾

(سورة الاسراء - الآية ٨٥)

وهناك الروح . . وهناك النفس . . فالنفس هى التقاء الروح بالمادة أو امتزاج الروح بالمادة . . هذه هى النفس . . ولذلك فإن التكليف من الله سبحانه وتعالى للنفس البشرية ، أو لفترة الحياة

التى تلتقى فيها الروح والجسد . . فالله لا يكلف الروح وحدها شيئا بعد أن تخرج من الجسد . . ولا قبل أن تدخل فيه والله لا يكلف الجسد شيئا اذا خرجت منه الروح . . ولكن التكليف حين تلتقى الروح بالمادة . . فهنا تنشأ الحياة الارضية . . أو تنشأ النفس التى هى تمر بمرحلة الاختبار فى الالتزام بمنهج الله فى الارض . . ولذلك يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ ونفس وما سواها . فالهمها فجورها وتقواها . قد افلح من زكاها . وقد خاب من دساها ﴾

(سورة الشمس الآيات من ٧ ـ ١٠)

اذن الله سبحانه وتعالى بين طريق الايمان وطريق الخطأ والمعصية للنفس البشرية . . أى فى الفترة التى تتلقى فيها الروح بالجسد ، أى أن الله بين منهجه للنفس فقال افعل . . ولا تفعل . . وقال هذا خطأ . . وهذا صواب . . وبين طريق الجنة للنفس البشرية . . والتكليف الالهى هو فى فترة الحياة الدنيا وحدها . . مصداقا لقول الله سبحانه تعالى :

﴿ وما علمناه الشعر وما ينبغى له . إن هو الا ذكر وقرآن مبين ، لينذر من كان حيا ، ويحق القول على الكافرين ﴾

(سورة يس الآيات ٧٩ و ٧٠)

واذا أردنا أن نفهم كلمة الروح فانها ذلك السر الالهى الذى يهب الحياة للمادة . أو الذى تحيا به المادة . . أو بشكل آخر هو ارادة الله لها أن تحيا . . فاذا سلب الله هذه الارادة ذهبت الحياة

بشكلها الدنيوى وانتهت واختفت . . ولذلك يصور رسول الله صلى الله عليه وسلم الحياة الدنيا كأنها فترة من الوقت فى رحلة الحياة الكبرى . .يقضيها المسافر تحت ظل شجرة ثم يرحل . . فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« مالى وللدنيا ؟ ما أنا فى الدنيا الا كراكب استظل تحت شجرة ، ثم راح وتركها »

ويقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه ، وأنه اليه تحشرون ﴾

(سورة الانفال ـ الآية ٢٤)

وقال سبحانه وتعالى :

﴿ وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب وإن الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون ﴾

(سورة العنكبوت الآية ٦٤)

ولابد هنا من الاشارة إلى قول الله سبحانه وتعالى :

﴿ استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم ﴾

فكأنما الحياة عند الله سبحانه وتعالى الحياة الحقيقية هى فى الاخرة فى اتباع منهج الله . . ذلك أنها حياة الخلود التى تساوى أن

تسمى حياة بمقوماتها التى يريدها الله سبحانه وتعالى للانسان . . ولذلك فان الله يذكرنا أن اتباع منهجه فى الدنيا هو الذى يعطينا الحياة المنعمة الطيبة التى اعدها الله للمؤمنين فى الآخرة . . حيث أعد لهم ما لاعين رأت . . ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . . وأن الحياة الدنيا انما هى فترة قصيرة لا تساوى شيئا . . وانما هى فترة اختبار للنفس البشرية لتقودها الى الحياة الطيبة الخالدة . . ويؤكد هذا المعنى قول الله سبحانه وتعالى :

﴿ وإن الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون ﴾

. . أى أن الله يريد أن يلفتنا إلى أن الحياة التى يعمل الانسان لها لو أوتى العلم والذكاء هى الحياة الآخرة . . ولذلك فهو يحذرنا من أن تفتننا الحياة الدنيا التى هى لعب ولهو ، والتى هى متاع الغرور . . عن الحياة الآخرة التى هى حياة الخلود والنعيم ، والتى لابد لكل انسان عاقل ان يعمل من اجلها . . وفى ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (لو كانت الحياة الدنيا تساوى عند الله جناح بعوضة ما سقى فيها كافرا شربة ماء) .

اذن فالنفس البشرية هى التقاء الروح بالجسد لتهب له الحياة .

ونعود للآية الكريمة :

﴿ ويسألونك عن الروح ﴾

. . وحينما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح . . كان السائلون يريدون أن يعرفوا ما هى الروح . . ومم تتكون ، وكيف تهب الحياة للجسد ، ثم تذهبها عنه . . وهنا رد الله سبحانه وتعالى :

﴿ قل الروح من أمر ربى ، وما أوتيتم من العلم الا قليلا ﴾

. . أى أن الروح سر من اسرار الله سيظل غيبا عنا إلى يوم القيامة . . الله سبحانه وتعالى يقول ان علمكم الارضى الذى تظنون أنه كثير . . وهو فى الحقيقة أقل القليل . . علمكم هذا لن يصل بكم الى سر الروح . . أنتم تسألون ما هى الروح . . وأنا اقول لكم ان علم البشرية كلها لن يصل اليها . . بل لن يصل إلى أسرارها . . وأقول هذا يقينا . . وهذا تحد من اعجاز القرآن الكريم . . فمازالت البشرية بكل علمها وعلمائها عاجزة عن أن تقترب من الروح . . أو تكشف سرا واحدا من اسرارها .

بل ان تحدى الله سبحانه وتعالى قد جعل هذه الروح ، وهى تعيش فى جسد بشرى . . يعجز صاحب هذا الجسد عن أن يعلم شيئا عنها . . كيف جاءت وكيف خرجت . . بل انك تسأل أعلم علماء الارض الذين يجادلون فى الله بغير علم ولا استحياء ويأخذون الرؤية المادية على اساس أنها يقين العلم كله . . أولئك الذين يحاولون ستر وجود الله ويعلنون الكفر والالحاد ويطالبون أن يروا الله . . نقول لهم : ان الله برحمته قد اظهر لنا فى هذه الحياة الدنيا جهلكم وأنتم تدعون العلم . . فالروح فى أجسادكم . . معكم فى رحلتكم من المهد إلى اللحد . . أو من الميلاد إلى القبر . . وأنا أسألكم يا من تدعون العلم . . أين هى الروح التى فى اجسادكم . . هل هى فى القلب الذى ينبض أو فى العقل الذى يفكر . . أو فى القدم التى تمشى . . أو فى اليد التى

تبطش . . أو فى اللسان الذى يتكلم . . أو فى الرئة التى تتنفس . . أين هى ؟ . . وأين مكانها ؟ . . والجواب طبعا أن أحدا لا يستطيع أن يحدد مكانها . . فنقول لهم ؛ ما هو شكلها فيقفون صامتين بلا جواب . . فنقول لهم هل هى موجودة ؟ فيقولون نعم موجودة لانها تعطينا الحياة . . فنقول لهم اذا كانت الروح وهى موجودة وجودا يقينيا فى كل كائن حى قد عجزتم عن تحديد مكانها أو شكلها . أو أن تروها رؤية العين . . ومع ذلك فهى موجودة وجودا يقينيا . . اذا كان ذلك لمخلوق من مخلوقات الله سبحانه وتعالى . . لا تستطيعون الاحاطة به . . فكيف تريدون رؤية الله وتقولون لن نؤمن حتى نرى الله جهرا . . وانتم عاجزون عن أن تروا الروح وهى مخلوق من مخلوقات الله فى أجسادكم . . الا يصيبكم الخزى وأنتم تجاهرون بأن عدم رؤية الله انكار لوجود الله جل جلاله . . الا تكفى هذه التجربة لتبين لكم أنكم تفترون على الله . . وكان من الأجدر بكم أن تسجدوا لقدرة الله سبحانه وتعالى الذى وضع فيكم هذا الاعجاز . . وتوقنون بوجود الله . . وبعظيم علمه . . وتسجدون له وتسبحونه . .

ولكن لماذا اخفى الله سبحانه وتعالى علم الروح عن البشرية ؟ . . لأنه أولا دليل قدرة . . وثانيا دليل الوجود بلا رؤية . . وثالثا لأن حقيقة الروح سواء علمت بها أو لم تعلم لن تفيدك شيئا فى حياتك الدنيا . . فالانتفاع بالروح لايقضى ولا يقتضى العلم بها . . ولكى نقرب هذا المعنى إلى القارىء نقول : ان الله سبحانه وتعالى قد خلق اشياء كثيرة لا يقتضى

الاستفادة بها علما من المستفيد . . فالكهرباء مثلا استفيد بها ، سواء علمت أو لم أعلم . . فالأمى الذى لا يقرأ يضع يده على الجرس فيحدث رنينا وعلى مفتاح النور فتضىء الحجرة . . هل يعرف هذا الرجل الذى لا يقرأ ولا يكتب حقيقة الكهرباء . . أبدا . . ولكنه ينتفع بها .

بل أنت فى حياتك ملايين الاشياء التى تنتفع بها ولا تعرف شيئا عن حقيقتها . . هل يعرف كل من يركب الطائرة نظريات الطيران . . وهل يدرى كل من يستخدم التليفون كيف تتم المكالمة . . وهل يعرف كل من يشاهد برنامجا تليفزيونيا ينقل بالقمر الصناعى . . كيف يتم الاتصال أو نقل الصوت والصورة عن طريق الأقمار الصناعية . . وهل لو جهل من يزرع الارض أن الأرض كروية وأنها تدور حول نفسها . . هل لو جهل هذه الحقيقة ، فانه لا يستطيع الاستفادة من الأرض فى أن تنتج له ما يريد من طعام . .

وأستطيع أن أمضى بلا نهاية فى أشياء اقول عنها ينتفع بها ملايين الناس دون أن يعرفوا سرها . . لأقول ان الله سبحانه وتعالى برحمته عندما يحجب حقيقة الروح عنا فان ذلك لا يوثر فى انتفاعنا بهذه الروح فى رحلة الحياة .

اذن أنت تنتفع بالروح التى تعطيك الحياة والحركة وان كنت تجهل ما هى . . ولا يعنى ان الله قد حجب حقيقتها عنك أنك لا تستطيع أن تنتفع بها . . إنها فى داخلك . فى كل خلية من جسدك تهبها الحياة والحركة .

نعود إلى قول الله :

﴿ قل الروح من أمر ربي ﴾

. . وماذا تعنى كلمة أمر الله . . القرآن الكريم يبين لنا ذلك . . فالله يقول :

﴿ إنما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ﴾

سورة يس - الآية ٨٢)

. . إذن أمر الله بالنسبة لنا هو ارادة الله سبحانه وتعالى لهذا الجسد أن يحيا ، هو التفسير لمعنى الامر من الله سبحانه وتعالى أى الايجاد بكلمة كن . . والخروج من علم القادر وهو الله سبحانه وتعالى الى علم غير القادر وهو الانسان بكلمة كن . . وهذا الخروج يحدث ليباشر الشىء دوره ويؤدى مهمته فى الكون . . فأمر الله سبحانه وتعالى يكون ايذانا بأن يباشر الشىء مهمته فى الكون بكلمة كن .

نأتى بعد ذلك إلى الآية الكريمة :

﴿ كلا اذا بلغت التراقى . وقيل من راق ؟ وظن أنه الفراق . والتفت الساق بالساق ، إلى ربك يومئذ المساق ﴾

(سورة القيامة - الآيات من ٢٦ - ٣٠) . .

وقوله سبحانه وتعالى :

﴿ فلولا اذا بلغت الحلقوم . وأنتم حينئذ تنظرون . ونحن اقرب اليه منكم ، ولكن لا تبصرون . فلولا إن كنتم غير مدينين ، ترجعونها إن كنتم صادقين ﴾

(سورة الواقعة - الآيات من ٨٣ - ٨٧)

. . والله سبحانه وتعالى يتحدث فى هذه الآيات عن الروح وهى تغادر الجسد . . وهى تخرج منه . . انه يتحدث عن لحظة الموت . . لحظة الفراق بين الجسد والروح . . والله سبحانه وتعالى عندما يتحدث هنا عن الروح يتحدث عن شىء له دخول وله خروج . . أو عنصر تام . . فاذا اراد الله سبحانه وتعالى ان يهب للجسد الحياة وحدث ذلك بكلمة كن . . قد دخلت الروح الى الجسد لتعطيه الحياة . . واذا اراد الله ان يسلب الحياة اخرج من الجسد تلك الروح التى تعطيه الحياة . . فاذا جاء بعض العلماء وقالوا انهم وضعوا عددا من الذين يحتضرون فوق ميزان حساس ثم لاحظوا لحظة الوفاة أن الجسم يفقد جزءاً فجائيا من وزنه . . وأنهم يدللون بذلك على أن الروح لها وزن يسير . نقول لهم ان ما تقولونه ليس علما ، ولكنه ظن فقط . . أى أنكم تظنون ذلك . . فقد يكون هذا الوزن الذى يفقد نتيجة كمية من الهواء من الجسد فجأة . . أو توقف سريان الدم . . أو نتيجة أى تفاعل مادى يحدث ساعة الوفاة . . وأن هذا لا يعنى يقينا ان الروح لها وزن . . ولذلك فإن البحث العلمى على أن الروح لها وزن أو ليس لها وزن مجرد عبث .

ونكون وصلنا بذلك إلى أن الله سبحانه وتعالى قد خلق آدم بيديه ونفخ فيه الروح . . وبينا عناصر الخلق والذين يجادلون فيه بغير علم . . ثم تحدثنا عن النفس البشرية التى هى التقاء الروح بالجسد . . وعن الحياة الحقيقية التى هى فى الآخرة .

ونصل إلى أمر الله سبحانه وتعالى إلى الملائكة أن يسجدوا لآدم وهذا هو موضوع الفصل القادم .

■ ■ ■

الفصل الثالث

السجود لآدم

أراد الله سبحانه وتعالى أن يكرم آدم تكريما عظيما يليق بمهمته فى الحياة . كخليفة لله فى الأرض . . فبعد أن خلق له هذا الكون كله بشمسه وأرضه ونجومه وقمره وبحاره ليستقبله ويكون فى خدمته . . أراد أن يكرمه عند بداية الخلق . . وكان أول إخبار من الله سبحانه وتعالى للملائكة بأنه جاعل فى الأرض خليفة هى قبل خلق آدم مصداقا لقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ واذ قال ربك للملائكة : انى خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون . فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين ﴾

(سورة الحجر - الآيتان ٢٨ - ٢٩)

وهكذا يبين الله سبحانه وتعالى أنه أخبر الملائكة بخلق آدم قبل اتمام الخلق . فقال سبحانه وتعالى للملائكة انه سيخلق بشرا من صلصال من حمإ مسنون . . ثم اصدر الله سبحانه وتعالى أمرا للملائكة أنه ساعة اتمام خلق آدم أن يسجدوا له . . هذا السجود قد يكون لعظم المهمة التى كلف الله بها آدم فى الأرض . . وقد

يكون لعظم التكريم الذى جعله الله لآدم فى الآخرة . . وقد يكون تفضيلا لآدم من الله سبحانه وتعالى مصداقا لقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ ولقد كرمنا بنى آدم ، وحملناهم فى البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ﴾

(سورة الاسراء - الآية ٧٠)

ماهو معنى عظم المهمة التى كلف الله بها آدم فى الأرض . . هذه المهمة تتلخص فى أنه حمله الأمانة . . وتلك مهمة كبيرة وحمل ثقيل حمله الانسان فى حياته على الارض . . ولقد قال الله سبحانه وتعالى فى ذلك :

﴿ إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال ، فأبين أن يحملنها ، وأشفقن منها وحملها الانسان ، إنه كان ظلوما جهولا ﴾

(سورة الاحزاب - الآية ٧٢)

ماهى الأمانة فى معناها الواسع ، وماهى الأمانة التى حملها الانسان . . الأمانة فى معناها الواسع ان نودع شيئا لدى أى شخص من الأشخاص بشرط أن يكون هذا الايداع ليس عليه دليل مادى أى أنه يكون بينك وبينه . فاذا أعطيت انسانا مبلغا وكتب لك شيكا بهذا المبلغ أو كمبيالة له فهذا ليس أمانة ولكنه دين . . فاذا لم يكن هناك دليل مادى على أنك أودعت عنده هذا

المبلغ فهذا أمانة . . ولقد حدد الله سبحانه وتعالى معنى الأمانة فى القرآن الكريم بمعناها الواسع . . فقال سبحانه وتعالى :

﴿ يأيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه ، وليكتب بينكم كاتب بالعدل ﴾

(سورة البقرة - الآية ٢٨٢)

. . وهكذا حدد الله سبحانه وتعالى أن الدين هو الذى يقوم عليه صك مكتوب أو ورقة مكتوبة - ثم يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة . . فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذى أؤتمن أمانته ، وليتق الله ربه ، ولا تكتموا الشهادة . ومن يكتمها فانه آثم ، والله بما تعملون عليم ﴾

(سورة البقرة - الآية ٢٨٣)

اذن فالأمانة هى دين لايقوم عليه دليل مادى مكتوب وذلك كأن آتى إلى شخص واودع لديه مبلغا من المال وأقول هذا أمانة عندك حتى العام القادم مثلا . قد يقبل هذا الشخص الأمانة ويقول لى اعطها لى وهى فى الحفظ والصون إلى أن يأتى العام القادم فتأتى لتأخذها وتجدها كما هى . . وقد يخاف الشخص من نفسه ويقول اعفنى من هذه المهمة إن يدى ستمتد اليها ، ولن أستطيع أن احمل هذه الأمانة ، ولذلك فأنا أرفضها . . ونوع ثالث من الناس يبدى استعدادا وتحمسا ليتقبل الأمانة فاذا أصابه ضيق مادى أو احتاج إلى

شيء امتدت يده اليها ليأخذ منها على أنه سيعيد ما أخذ قبل ان يأتى موعد رد الأمانة . . ثم يحتاج فيأخذ ويأخذ على أمل أنه سيرد . . ثم يفاجأ عند مجيء موعد الرد بأنه قد بدد الأمانة وعجز عن ردها . . هذا هو معنى الأمانة عامة . . وهو معنى أوضحه الله فى القرآن الكريم فى سورة البقرة ايضاحا لا يحتمل أى نوع من التأويل . .

فاذا كان هذا هو المعنى العام لكلمة الأمانة فما هى الأمانة التى حملها الانسان . . انها منهج الله فى الأرض ، وحرية الاختيار فى افعل ولا تفعل . . ذلك أن الله سبحانه وتعالى حين خلق السموات والأرض والجبال وغيرها من المخلوقات عرض عليها الأمانة - أى أن يأتمنها الله سبحانه وتعالى على منهجه . . ويعطيها الحرية فى أن تفعل ولا تفعل . . فان اتبعت المنهج وفعلت كان لها ثواب عظيم . . وإن خالفت المنهج وعصت استحقت العذاب فى النار .

عرض الله هذا على السموات والأرض والجبال وغيرها من المخلوقات . . فقالوا يارب لا نستطيع أن نحمل الأمانة . إنا نخاف ونشفق على أنفسنا منها . . ونخشى ألا نستطيع أن نؤدى أمانة المنهج الذى تريد أن تحمله لنا . . فان هذه المهمة تحتاج إلى جهد عظيم . . فيارب اجعلنا مقهورين غير مختارين . . مقهورين على طاعتك . . غير مختارين فى أن نعصى . . ولكن الانس والجان قبلوا أن يحملوا الأمانة . . وقالوا يارب نحن قادرون على ذلك حملنا الأمانة ، وسنكون أمناء على المنهج . . وسنطيع ولا نعصى . .

ولعظم هذه المهمة التى حملها الانسان . . فان الله سبحانه وتعالى يصفه بصفتين فيقول إنه كان ظلوما جهولا . . وظلوم معناها أنه كثير الظلم . . وجهول أنه عظيم الجهل . . لماذا وصف الله الانسان فى هذه الآية بالذات بانه ظلوم جهول . . لانه لم يقدر عاقبة ما اختاره . . فهو بهذا الاختيار قد ظلم نفسه . . فحملها ما لايقدر الضعف البشرى فى كثير من الاحيان أن يتحمله . . هذه واحدة . . ولأنه - أى الانسان - يجب أن يتميز كل واحد منهم عن غيره . . فهذا يريد أن يأخذ حق هذا . . وهذا يريد أن يستبيح حرمات غيره وهكذا . . والله نهى عن ذلك . . ولكن هوى النفس يدعو الانسان إلى أن يأخذ ما ليس له حق . . وهكذا كان الانسان كثير الظلم . . كل واحد منا يظلم . . فهو ليس ظالما . . ولكنه ظلوم . . مضافا إلى ذلك أن الانسان قد أخذ حق المعصية . . فمادام الله قد قال افعل . . فالانسان قادر على ألا يفعل . . ومادام الله قال : لا تفعل . . فالانسان قادر على أن يفعل . . وهذه المقدرة التى وهبها الله للانسان أو أعطاها له قد ملأت نفسه بالغرور . . والغرور هو الطريق السريع إلى المعصية ، والى الظلم والاستبداد فى الأرض . . وهكذا من كل ناحية كان الانسان كلما حمل الامانة ، ظلوما لنفسه ، وظلوما لبنى جنسه .

وكان الانسان جهولا . . أى عظيم الجهل . . لماذا ؟ . . لأنه وقد أخفى عنه الجزاء للمعصية استهان به . . فلو أن الجزاء كان حاضرا - أى أننا نراه أمامنا . . ما جرؤ واحد منا أن يرتكب معصية . . ولكن لأن الجزاء غيب عنا . . فإننا بجهلنا نستهين

بعذاب الله . . فلو أننا أحضرنا معاصى الدنيا كلها بكل مافيها من مال وشهوات وزينة وأعطيناها لانسان . . ثم قلنا له هذه كلها لك . . تمتع بها كما تريد وكما تشتهى . . ولكن قبل أن تتمتع وحتى نكون عادلين نريد أن نريك النتيجة . . ثم فتحنا له بابا فرأى نار جهنم . . وقلنا له بعد أن تمضى فترة عمرك فى هذه المعاصى كلها بكل ما تمنحه من زينة وجاه وسلطان وشهوة . . سنأخذك إلى هنا . . إلى جهنم لتبقى فيها خالدا . . لو أننا قلنا له هذه الكلمات وفتحنا له أبواب جهنم ما اقترب من معصية أبدا . . ولكن لأن هذا أخفى عنه ، ظن الانسان أن لا علم إلا علمه ، ونسى علم الله الواسع الذى لا يحده حدود .

وهو جهول لأنه سيعبد الدنيا بقصر نظره بعد علمه يقينا بأنه سيخرج منها . . فلا يوجد انسان إلا ويعرف يقينا أنه سيموت . . وأن أجله سيأتى ولكن لايوجد انسان يحسب أو يؤمن أنه قد يموت غدا . . فمهما بلغ به العمر فالأمل داخل نفسه أنه سيعيش سنوات وسنوات . . وفى ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما رأيت يقينا أشبه بالشك من يقين الانسان بالموت) ذلك أن الانسان رغم علمه اليقينى أنه سيموت فانه كان فى شك بان هذا لن يحدث لسنوات طويلة . .

والانسان جهول . . لأنه فى داخله فطرة الايمان التى فطره الله عليها . . وحوله الكون الذى سخره له الله لخدمته . . يرى فيه كل يوم آيات الله عن قوى أكبر منه وتستطيع أن تدمره . . ولكنها مسخرة لخدمته وطاعته . . فالشمس تستطيع إن اقتربت من الكون أن تحرقه فى دقائق . . ولكنها لا تجرؤ إلا أن تشرق فى

موعدها ، وتبقى فى مكانها تخدم الانسان بالضوء وفى الطعام وفى تكوين السحب لا نزال المطر إلى آخره .

والبحر يستطيع ان يغرق الأرض فى لحظات محدودة . . ولكنه يبقى فى مكانه مسخرا ليحمل السفن والانسان . . ويعطى الانسان الطعام والحلى . . ويرى فيه الانسان من عجائب خلق الله . . والأرض بزلزال هائل تستطيع أن تفنى البشرية . . ولكنها تستمر خادمة الانسان خاضعة له فى مقومات حياته . . تلك القوى لم يخلقها الانسان حتى نقول إنه سيطر عليها لانه خالقها . . ولا يستطيع أحد من البشر أن يدعى أنه خالق هذا الكون . . ولكن الله الذى قال لنا انه هو الخالق . . ورغم أن الانسان يرى الاعجاز فى تسخير هذا الكون له بكل القوى الهائلة الموجودة فيه . . ويعلم يقينا أن الله هو الذى خلق هذا كله . . لأن الله أخبرنا بأنه هو الذى خلق . . ولم تجرؤ أى قوة أخرى أن تدعى لنفسها الخلق . . رغم هذه الآيات الظاهرة . . فان الانسان بعظيم جهله يعبد حجرا . . أو يعبد حيوانا . . أو يعبد انسانا مثله . .

الله سبحانه وتعالى حين أعطانا الأمانة وحملناها . . كان لابد أن يميزنا بعقل حتى نستطيع أن نختار بين البدائل . . فالعقل مهمته الاختيار بين البدائل . . أما باقى المخلوقات التى اختارت طاعة الله جبرا فتحكمها قوانين غريزية . .

ولذلك كان الحساب يقف حين يتعطل العقل عن أداء مهمته . . فالمجنون يسقط عنه التكليف ولا يحاسب . . والطفل الذى لم يبلغ الحلم أو مبلغ الرجولة والنضج العقلى الذى يجعله

يستطيع أن يفرق وأن يميز . . لا يجرى عليه القلم . . وهكذا فان مناط التكليف هو العقل . . ولذلك فان الله سبحانه وتعالى قد حرم كل ما يعطل العقل عن عمله أو يفسده . . أو يجعله ينحرف عن مهمته . . فحرم الخمر تحريما قاطعا لأنها تفسد العقل وتعطله عن أداء مهمته فى الحياة فقال :

﴿ فلا تقربوها ﴾

فهى ليست محرمة فقط . . ولكن القرب منها بالجلوس فى مجالسها ممنوع . . وما ينطبق على الخمر ينطبق على المخدرات . . لأن مقومات الشريعة الاسلامية جاءت للحفاظ على هذا الكنز الالهى . . الذى ميز الله به الانسان وهو العقل . . فالعقل هو أساس الرقى فى حياة الانسان . . وإذا أردت أن تعرف ذلك . . أقول لك أرأيت جيلا من الحيوانات يعقد اجتماعا ليبحث فيه كيف يرتقى بمعيشته . . وينشىء له حظائر على أحدث نظام . . ويغير طعامه بطعام أفضل . . ويخترع الدواء لأمراضه . . ويحاول حل مشاكله بنفسه . . أرأيت جيلا من الحيوانات يفعل ذلك ؟ . . أرأيت حيوانا حين يوضع أمامه الطعام . . يقول أنا آكل هذا ولا آكل ذلك هذا الصنف من الطعام أفضل . . أو يقول سأوفر جزءا من هذا الطعام إلى غد . . أو يقول سأدخر جزءاً من الطعام الذى أمامى للأيام القادمة . . أرأيت حيوانا حين يشبع يظل يأكل . . ولو أنك ضربته مهما ضربته ليأكل أكثر فهل يستجيب لك .

كل هذه التصرفات كفلها الله سبحانه وتعالى بالغريزة تحكمها . . ولذلك فان هذه الغريزة تحرس حياة الحيوان ،

فلا يأكل عودا من البرسيم أكثر من حاجته فيصاب بالتخمة . . ولا يخلق المشاكل فى حياته فتتعقد . . ولا يبقى طعام اليوم إلى غد أو بعد غد فيصيبه القلق والأسى . . ولكنه يتصرف بغريزته ويأخذ حاجته فقط . . حياته من مولده إلى يوم القيامة هى نفس الحياة التى وضعها الله له . . فهو لا يرتقى بنفسه . . ولا يطلب شيئا غير موجود . .

ولكن الانسان الذى حمل الأمانة أعطاه الله العقل مناط التكليف . . فهو بعقله يستطيع أن يختار بين البدائل التى خلقها الله سبحانه وتعالى . . فهو قادر على فعل الخير . . وقادر على فعل الشر . . وحتى يكون الحساب عدلا . . فان مغيبات العقل كلها محرمة تماما . . مهما أخذت أى شكل من الأشكال . . والذى يقدم عليها يحاسب لأنه قد عطل أداة الاختيار فيه . . وانطلق بلا وعى إلى أشياء حرمها الله . .

واختيارات العقل هى التى تشقى الانسان وتسعده فى الحياة . . وهى التى تقوده إلى الجنة أو النار . . فأنت بالغريزة لك انفعال واحد ورد واحد . . أما بالعقل فأمامك بدائل كثيرة تختار منها ماتريد . . فاذا ضرب الانسان كلبا مثلا . . فان الانفعال الغريزى لهذا الكلب هو أن يرد بأن يعض الانسان ولا انفعال آخر . . كلما أوذى الكلب كان رده على الأذى أن يعض من اذاه . . والحمار أو الحصان مثلا يرفس من يؤذيه . . أى أن انفعاله له شىء واحد لا يتغير . . بينما الانسان له عشرات البدائل من الانفعالات . . فاذا ضربك شخص فإنك تستطيع أن ترد الضربة بمثلها . . أو تردها بأشد منها . . أو تردها بأقل منها . .

أو تصفح عمن ضربك . . أو تحسن اليه . . أو تكتفى بتوبيخه . . هناك بدائل لا حدود لها . . موجودة عند الانسان وحده . . ومادامت هذه البدائل موجودة . . فلا بد أن هناك فى الانسان شيئا يجعله يختار . . أو يميز بين البدائل بحيث يتخذ القرار . . أما الذى ليس عنده سوى اختيار واحد فهو محتاج إلى فكر ليميز بين البدائل التى أمامه . .

وهنا نأتى إلى معنى الآية الكريمة :

﴿ لقد خلقنا الانسان فى كبد ﴾

(سور البلد - الآية ٤)

ولا بد أن نعرف أن كلمة الانسان حين تطلق من الله سبحانه وتعالى . . يراد بها الانسان على اطلاق خلقه بلا تمييز بين مؤمن وكافر . . أى أن الانسان على اطلاقه مخلوق فى كبد . . أى فى ضيق ومعاناة . . لماذا ؟ . . لأنك وأنت أمامك هذه البدائل كلها مطلوب منك أن تختار فى كل لحظة من لحظات حياتك . . ماذا تفعل ؟ . . وكيف تتصرف ؟ . . هل ترد الاساءة بالاساءة ؟ . . أو تواجهها بالاحسان فيطمع فيك عدوك ؟ . . وانت فى ضيق مالى هل تستقيل من وظيفتك وتبدأ عملا حرا ؟ . . وماذا يحدث لو أفلست إذا لو قمت بهذا العمل ؟ . . كيف تتصرف فى الصفقة التى أمامك . . ان بعتها فقد يرتفع سعرها فيضيع الربح الذى كنت تستطيع أن تكسبه . . وإذا لم تقرر البيع قد ينخفض السعر فتخسر . . أين الخير وأين الشر فيما يحدث لك وفيما تختاره ؟ هل اخترت الصواب أم الخطأ ؟ . . لو اتخذت هذا القرار فما هو أثره على غدك ومستقبلك ؟ . . أيأتى

يوم تندم فيه على مافعلت ؟ . . وإذا لم تتخذ القرار أتكون قد ضيعت فرصة عمرك كما يقولون ؟ . . وهل ستأتى فرصة غيرها ؟

اذن فالانسان إذا امتنع عن اتخاذ قرار فهو فى ضيق . . لانه يحس أنه ربما أخطأ وربما فاتته الفرصة . . واذا اتخذ القرار واختار أحد البدائل فهو فى ضيق وكبد . . لأنه يحس أنه ربما أخطأ فى قراره . . واذا قال نعم . . فهو فى ضيق وكبد . . لأنه يحس أنه كان يجب أن يقول لا . . واذا قال لا فهو فى تعب وكبد . . فربما كان الخير فى كلمة نعم . . وهكذا لا يخرج من الضيق والمعاناة أبدا اذا اتخذ قرارا أو لم يتخذ . . واذا قام بعمل أو امتنع عنه . . إنه يعيش فى ضيق دائم . .

والمخرج من هذا كله ان تتحد مرادات الانسان ومايريده فى الحياة مع مرادات منهج الله . . ولذلك فان الانسان المؤمن هو الذى يعيش فى راحة . . فالانسان المؤمن كل قدر الله بالنسبة له هو خير . . والانسان غير المؤمن كل قدر الله بالنسبة له يعتبره شرا . .

والانسان المؤمن اذا جاءه المال فهو خير . . واذا ذهب عنه المال فهو خير . . فاذا جاءه المال كفاه حاجته . . واذا ذهب عنه فربما كان سيقوده إلى المعصية والهلاك فأبعده الله عنه . . والانسان غير المؤمن اذا جاءه المال فهو شر . . يخاف من الحسد فينكره . . ومن السرقة فيظل قلقا عليه ليل نهار . . ومن أن يضيع هذا المال فيحاسب نفسه على قرش ينفقه . . واذا جاءته وجوه انفاقه فهو يخشى ان تزيل وجوه الانفاق هذه نعمة المال عنه وتفنيه . . وهو يحس أن كل من حوله يطمع فى ماله فتضيع ثقته فى الناس . .

ويشعر أنهم جميعا خونة وطماعون . . وهكذا فان المال أتاه بالشقاء . . فاذا ذهب المال عنه فهو شر . . لأنه ينظر الى النعم التى أنعم الله بها على غيره من خلقه وتمتلىء نفسه مرارة وحسرة . ويحس بالضيق فى كل دقيقة من حياته . . ويشعر بالحرمان ويملأ نفسه السخط لانه يريد ولا يستطيع أن يحصل على ما يريد .

والانسان المؤمن اذا كان صحيحا معافى . . يعرف قيمة الصحة ويشكر الله عليها . . واذا مرض يعلم أن هذا ابتلاء من الله واختبار للايمان . . ويرضى ليحصل على الثواب وينجح فى الاختبار . . والانسان غير المؤمن يعتبر الصحة أمرا مفروضا . . فاذا أعطاه الله الصحة انطلق الى المعاصى التى تذهبها عنه . . ويرهق جسده بالسفر والخمر والشهوات وفاخر الطعام يحشره حشرا . . فاذا مرض نتيجة هذا السلوك . . سخط وضاق ولعن الدنيا ومن فيها . . وظل متبرما بالحياة فهو فى ضيق دائما . .

هكذا نرى أن التكليف أو الامانة التى حملها آدم ليست مهمة سهلة ولا هينة . . بل هى مهمة صعبة واختبار دقيق بين مغريات الحياة ومطلوبات الايمان وهى امتحان لا ينتهى فى كل دقيقة . . كما سنبين ذلك فى الفصول القادمة . . ولذلك لعظم هذه المهمة كان أمر الله لملائكته للسجود لآدم . .

والله سبحانه وتعالى قد أعد للانسان المؤمن فى الآخرة جنات ونعيما عظيما وتكريما على قدرات الله سبحانه وتعالى . . والوعود بهذا التنعيم والتكريم من الله سبحانه وتعالى لابد أن يكرم ساعة خلقه بأن يسجد الملائكة له . . وقد يكون ذلك تفضيلا من الله سبحانه وتعالى وتكريما للانسان . . والله يكرم من يشاء ويرفع

درجات من يشاء . . ولذلك أراد تكريم الذرية المؤمنة التى خلقت فى ظهر آدم ساعة خلقه . . كل هذا تفسير لأمر السجود وان كان التفسير الأكبر هو التفسير الايمانى فى أن الله سبحانه وتعالى يعبد لذاته . . وأن الأشياء تأخذ تفضيلها ورفعة شأنها وكمال وجودها من الله . . ولا شىء له فضل ولا قدسية فى ذاته . . وهذه حقيقة لا بد أن نفهمها لأنها هى الحقيقة الايمانية الكبرى . . ذلك أن الله سبحانه وتعالى قد فضل الأماكن على بعض . . وبعض الأزمنة على بعض . . وبعض خلقه على بعض . . ولكن هذا التفضيل ليس فى ذاتية هذه الاشياء كلها . . ولكن اختيار الله لها . . فليس فى هذه الدنيا كلها شىء مفضل لذاته . . ولعل هذا الاختبار الايمانى قد مر به المسلمون عند تغيير القبلة من المسجد الاقصى إلى المسجد الحرام . . وبعض الناس يتساءل عن حكمة تغيير القبلة . . وقد اختلف العلماء فى تفسير هذه الحكمة . . فبعضهم قال ان ذلك تم حتى نخالف اليهود والنصارى . . وبعضهم قال إن ذلك تم لارضاء العرب الذين نزل الاسلام عليهم أولا حتى يكون بيت الله وقبلة المسلمين فى الجزيرة العربية . . وبعضهم قال غير ذلك . .

ولكن الحكمة فى هذا كله تأتى من أن الله يريدنا أن نفهم أن عبادته . . يجب ألا نشرك معه فيها شيئا مهما كان هذا الشىء . . بل العبادة له وحده . . والطاعة له وحده . . وان اختياره سبحانه وتعالى للأشياء هو الذى يعطيه قدسيتها فى نفوسنا . . فاذا قال الله اتجهوا الى بيت المقدس للصلاة . . اتجهنا الى بيت المقدس . . لا لأنه مكان رسالات سابقة . . ولا لأن هذا المكان

شهد الأنبياء السابقين . . ولكن لأن الله هو الذى أمرنا أن نتجه اليه . . فاذا جاء أمر الله فى أن نتجه الى الكعبة ، فاننا نتجه الى الكعبة تنفيذا لأمر الله سبحانه وتعالى أن نتجه اليها . . ولا نعترض أو نقول ان بيت المقدس الذى شهد الرسالات السابقة هو أفضل وأقدس . . ذلك أن بيت المقدس أخذ قدسيته من أمر الله لنا بالاتجاه اليه فى أول الاسلام . . والكعبة المشرفة أخذت قدسيتها من أمر الله لنا بتحويل القبلة والاتجاه اليها . . وهكذا نعرف أن الألوهية والطاعة والتقديس لله وحده . . ولا ندخل معه شيئا الا أمر الآمر وهو الله بأن نفعل ذلك . لأن الله يعبد لذاته .

ولذلك فان بعض الناس الذين يعتقدون أن هناك شيئا مقدسا لذاته بعيدا عن أمر الله . . انما هم قد يقعون فى خطأ جسيم . . ذلك أن مصدر العبادة كلها . . بذاتيتها وكل أوامرها ونواهيها . . هو الله . . فاذا قال سبحانه وتعالى : أطيعوا الله وأطيعوا الرسول . . اكتسب رسول الله صلى الله عليه وسلم حق الطاعة بأمر الله . . فأصبحت واجبة . . واذا طلب الله سبحانه وتعالى أن نحج البيت . . اكتسب البيت حق الحج بأمر الله . . ولو طلب الله سبحانه وتعالى أن نحج الى أى مكان آخر لقمنا بذلك امتثالا لأمر الله . . ولذلك نجد فى القرآن الكريم ان الله سبحانه وتعالى يريد أن يوضح لنا هذه الحقيقة فى قوله سبحانه :

﴿ سيقول السفهاء من الناس ماولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها ، قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء الى صراط مستقيم ﴾

(سورة البقرة - الآية ١٤٢)

﴿ وماجعلنا القبلة التى كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه ، وإن كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله ﴾

(سورة البقرة ـ الآية ١٤٣)

وقوله تعالى :

﴿ ولله المشرق والمغرب . فأينما تولوا ثم وجه الله . إن الله واسع عليم ﴾

(سورة البقرة ـ الآية ١١٥)

نجد أنه فى الآيات الأولى يقول الله :

﴿ سيقول السفهاء من الناس ﴾

ومعنى ذلك أن الله أنبأنا بما سيقولونه قبل أن يقولوه . . وهذا واضح فى استخدام حرف (السين) فى قوله تعالى « سيقول » . . ولو أنهم قد قالوا فعلا ما استخدم الله سبحانه وتعالى حرف السين . . وهذا اعجاز من القرآن الكريم . . فلو تنبه الكفار وغير المسلمين الى هذه الآية التى نزلت قبل أن يقولوا شيئا لامتنعوا عن القول . . وحينئذ كان الجدل يثور حول القرآن الكريم بأن يقول هؤلاء الكفار وغير المسلمين ان القرآن قد قال :

﴿ سيقول السفهاء من الناس ﴾

ولكن أحدا لم يقل شيئا . . ولكن الله بقدرته جعلهم لا يتنبهون لهذا . . ويتساءلون ماولاهم عن قبلتهم . . وبذلك يكونون وهم الكفار مثبتين للايمان ، مؤيدين لصدق القرآن لأن القرآن قال عنهم :

﴿ سيقول السفهاء من الناس ماولاهم عن قبلتهم ﴾

وقد جاءوا وقالوا فعلا تصديقا لقول الله . . بل إن الله وصفهم بالسفهاء وقالوا لينطبق عليهم هذا الوصف . . وهكذا يستخدم الله الكفار لتثبيت الايمان ودليلا على صدق القرآن . . وليرينا أنهم سفهاء .

ثم يقول الله :

﴿ قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء الى صراط مستقيم ﴾

ويقول فى آية أخرى :

﴿ ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله ﴾

أى أن الله سبحانه وتعالى يرد على هؤلاء السفهاء . . ويقول انه سبحانه لا يحده زمان ولا مكان . . ففى أى مكان تتجه ليه فثم وجه الله . . وبذلك ينفى أن تكون حجة التغيير أن وجه الله موجود هنا ، وليس موجودا هناك . . أو أنه فى المشرق وليس فى المغرب أو العكس . . فالله فى كل مكان . . اذن فحكمة التغيير هنا لاتتعلق بذات الله ولا بوجهه . . ولابمكان معين بالذات ولكنها كما قال الله سبحانه وتعالى :

﴿ وماجعلنا القبلة التى كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله ﴾

(سورة البقرة - ١٤٣)

وهنا يعطينا الله السبب فى التغيير وهو اختبار نعمة الايمان فى النفس البشرية فى أن الله يعبد لذاته . . فتغيير القبلة هو اختبار ايمانى لمن يتبعون الرسول الذىٰ يوحى اليه من الله . . بحيث اذا أبلغهم الرسول بوحى الله اتبعوه ايمانا منهم بأن الله يعبد لذاته . . فأقوياء الايمان سينفذون الأمر بهذا المنطلق الايمانى . . وضعاف الايمان سيحاولون المجادلة بقولهم ان المسجد الاقصى له قدسيته لذاته فهو مكان الرسالات والانبياء . . فكيف نتركه ونولى وجوهنا الى البيت الحرام . . وهكذا نرى أن تغيير القبلة هز نفوس ضعاف الايمان ووضع أسئلة حائرة فى عقولهم . . وكان شيئا كبيرا بالنسبة لهم أن يتحولوا من المسجد الاقصى الى البيت الحرام . . بينما المؤمنون لم يضع ذلك أى تساؤل فى نفوسهم وقلوبهم ، لأنهم يعلمون يقينا أنه لا شىء مقدس لذاته . . وفى هذا يقول الله :

﴿ وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله ﴾

بعد أن بينا هذا المنطلق الايمان . . نعود الى أمر الله للملائكة بالسجود لآدم . . الملائكة يعبدون الله ويفعلون مايؤمرون . . وفى سجودهم لآدم انما فعلوا ذلك لأمر الله بالسجود . . وليس لقدسية ذاتية فى آدم . . أى أنهم سجدوا لأن الله هو الذى أمر بالسجود . . والله كما قلت يعبد لذاته . . ولم يسجدوا لأن آدم له قدسية ذاتية من داخله تدفع الملائكة للسجود له لو أن الله لم يأمرهم بذلك . . وفى هذا رد على الذين يقولون كيف أن الملائكة سجدوا لآدم مع أن السجود لغير الله مرفوض . . نقول لهم انهم سجدوا لأمر الله فى السجود . . وليس لذاتية آدم نفسه . . وهنا

يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ فسجد الملائكة كلهم أجمعون ﴾

(سورة الحجر - الآية ٣٠)

. . أى أنه لم يخرج عن هذا الأمر الذى أمر به الله أى ملك من الملائكة . . وانما الذى خرج عن هذا الامر هو ابليس . .

وماحدث بين الله وملائكته عندما أبلغهم الله سبحانه وتعالى أنه سيجعل آدم خليفته فى الأرض . . أنبأ به الله فى سورة البقرة . . وتساءل الملائكة عن الافساد الذى سيحدث فى الأرض . . ووقف الشيطان . ورد الأمر على الآمر . . وأعلن رفضه لتنفيذ أمر الله بالسجود .

وعند هذه النقطة نكون قد وصلنا الى كيف كرم الله آدم عند بداية الخلق . . وأن آدم قد قبل حمل الأمانة ، وهى حرية الاختيار بين البدائل وهذا امتحان رهيب للايمان ، وكيف ان الله سبحانه وتعالى قد ميز آدم وذريته بالعقل وهو أداة الاختيار . . ورفع التكليف والحساب لمن لم يكتمل عقله كالطفل . . أو من يفقد عقله كالمجنون . . وكيف أن إعطاء آدم حرية الاختيار قد أوجد نوعين من الحياة . . نوعا يكابد فيه ويقاسى الانسان غير المؤمن . . ونوعا للحياة الطيبة للانسان المؤمن . . أما تساؤل الملائكة عن افساد آدم فى الأرض . . وكيف علموا ذلك . . وكيف علم الله آدم الاسماء فهذا هو موضوع الفصل القادم . .

■ ■ ■

الفصل الرابع

إنى جاعل فى الأرض خليفة

« . . خلق الله آدم وكرمه وأعده لمهمته فى الحياة . . ثم أخبر الله الملائكة بمهمة آدم فى الأرض ، وقال سبحانه وتعالى للملائكة :

﴿ إنى جاعل فى الأرض خليفة . قالوا : أتجعل فيها من يفسد فيها ، ويسفك الدماء ، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، قال إنى أعلم ما لا تعلمون . . وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة . فقال : أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا . إنك أنت العليم الحكيم . قال : يا آدم أنبئهم بأسمائهم . فلما أنبأهم بأسمائهم قال : ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السموات والأرض ، وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ﴾ .

(سورة البقرة - الآيات من ٣٠ - ٣٣)

وأول سؤال يتبادر إلى الذهن هو لماذا أخبر الله الملائكة بأنه سيجعل آدم خليفة فى الأرض . . وما الذى يجعل الله سبحانه

وتعالى يخبر الملائكة بذلك . . وهل هذا الاخبار من الله يتنافى مع طلاقة قدرة الله فى كونه أنه يفعل ما يشاء عندما يريد وهو العزيز الحكيم :

« لا يسأل عما يفعل وهم يسألون »

(سورة الانبياء - ٢٣)

لقد توقف عدد كبير من العلماء عند هذا السؤال . . وظهرت تفاسير كثيرة لن نتعرض لها . . ولكن سبب الإخبار هو اعلام الملائكة بمهمتهم التى سيقومون بها بالنسبة لآدم وذريته . . ذلك أن من بين هؤلاء الملائكة من سيكونون ﴿ كراما كاتبين ﴾ . . أى يكتبون كل ما سيفعله آدم وذريته فى الأرض . . يكتبون الحسنات . . ويكتبون السيئات . . ويكتبون أداء الانسان للصلوات وطاعته لله . . كما يكتبون المعاصى التى يرتكبها الانسان . . ومنهم الحفظة الذين يحفظون الرسل من كل سوء . . وهؤلاء سيكون لهم شأن مع الرسل من ذرية آدم الذين سيبعثهم ليذكروا ويبينوا منهجه للناس . . ومنهم الملائكة الموكلون بنفخ الأرواح فى الأرحام . . والملائكة الموكلون بقبض الأرواح وهم ملائكة الموت . ومنهم الملائكة الموكلون بالأرزاق إلى آخر ما يوكل الله ملائكته لتنفيذه فى الكون . . مصداقا لقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم . . ثم إلى ربكم ترجعون ﴾

(سورة السجدة - الآية ١١)

وقوله تعالى :

﴿ وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين . يعلمون ما تفعلون ﴾

(سورة الانفطار الآيات - من ١٠ إلى ١٢)

وقوله سبحانه وتعالى :

﴿ وإذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين . بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ﴾ .

(سورة آل عمران - الآيتان ١٢٤ و ١٢٥)

وهكذا نعرف من آيات القرآن الكريم أن الله جعل للملائك مهام كثيرة مع الانسان فى الأرض . . وأن ابلاغ الله سبحانه وتعالى للملائكة بمهمة آدم . . كان إعلاما لهم بالمهام التى سيقومون بها فى حياة ورزق وتثبيت المؤمنين فى القتال ، وكل الشئون التى سيكلفهم الله بها بالنسبة لرسالاته فى الأرض . . الخ ما سيكلفهم الله به ، ولذلك كان إعلامهم بأن الله قد اختار آدم ليكون خليفته فى الأرض .

ما معنى اختيار الله لآدم كخليفة ؟ . . وما هى الخلافة التى أعطيت لآدم ؟ . . معناها أن الله سبحانه وتعالى قد خلق كل ما فى الأرض والسماء ، وسخره لخدمة الانسان . . وجعله يعمل من أجله . . ولنعرض عرضا سريعا لما سخره الله للانسان فى الأرض ليخدمه . . قال سبحانه وتعالى :

﴿ . . وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره وسخر لكم الأنهار . وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار ﴾ .

(سورة ابراهيم - الآيتان ٣٢ - ٣٣)

﴿ وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا ﴾

(سورة النحل - الآية ١٤)

﴿ ألم تر أن الله سخر لكم ما فى الأرض والفلك تجرى فى البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه ، إن الله بالناس لرءوف رحيم ﴾

(سورة الحج الآية ٦٥)

﴿ ألم تروا أن الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض ﴾

(سورة لقمان الآية ٢٠)

﴿ وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾

(سورة الجاثية - الآية ١٣)

وهكذا نرى أن الله سبحانه وتعالى سخر للانسان ما فى الأرض وما فى السموات . . وجعل له الولاية عليها بأن تفعل له . . وأن

تنفعل به . . وهكذا فان هذا التسخير هو خلافة الانسان لله فى كونه . . بل إن جسد الانسان نفسه مسخر له بأمر الله . . ولكن يوم القيامة ينتهى هذا التسخير . . واستمع إلى قول الله سبحانه وتعالى :

﴿ ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون . حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون . وقالوا لجلودهم لِمَ شهدتم علينا ، قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شىء ، وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون ﴾

(سورة فصلت ـ الآيات من ١٩ ـ ٢١)

وهكذا نرى أن السمع والبصر والجلود التى هى مسخرة فى جسد الانسان تفعل له فى حياته ما يريد . . تأتى يوم القيامة لتكون شهيدا عليه فيما فعله من معاص . . لأنها فى الحياة الدنيا مسخرة بأمر الله لكى تطيع الانسان . . فاليد تمتد لتسرق وهى تلعن صاحبها . . ولكنها لا تستطيع أن تعصى أمره ، لأن الله سبحانه وتعالى جعلها مسخرة له تفعل له ما يريد . . والعين تزنى وهى تلعن صاحبها . . ولكنها لا تستطيع ان تخالفه ، لأن الله سخرها له . . وكذلك الجلود والسمع وكل ما فى الجسد . . الله خلقه خاضعا لأمره ثم استخلف الانسان فيه ليعمل ما يأمره به الانسان . . وكذلك الكون كله . . البحار تلعن الكافرين ،

ولكنها تعطيهم اللؤلؤ والأسماك والبخر الذى يكون السحاب وتحملهم إلى حيث يريدون . دون أن تستطيع إلا أن تخدم الانسان الذى جعلها الله مسخرة له ، وجعله خليفة فى هذا التسخير . . وكذلك الأرض والجبال والشمس والقمر . كل ذلك يعمل بأمر الله ولكنه يخدم الانسان الذى استخلفه الله فى الأرض ، ولا يستطيع أن يعصى أو أن يتوقف عن خدمة الانسان مؤمنا كان أو كافرا .

والله خلق هذا الكون كله ، وجعل الانسان خليفة له فيه . . كل شىء فى هذا الكون فى السموات والأرض يخدم الانسان . . وكلما تقدم العلم اكتشفنا ما لانعرفه عن كيف يخدم هذا الكون الانسان الذى جعله الله سبحانه وتعالى سيدا للكون بطريق الخلافة ، بحيث عندما تنتهى هذه الخلافة يوم القيامة تنتهى سيادة الانسان على الأرض وخلافته فيها ، ويصبح الأمر لله دون أن يستخلف أحدا فيه . . مصداقا لقوله تعالى :

﴿ لمن الملك اليوم ؟ لله الواحد القهار ﴾

(سورة غافر - الآية ١٦)

وتمضى الآيات :

﴿ وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة . قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ﴾ .

(سورة البقرة - الآية ٣٠)

والسؤال الأول الذى يتبادر إلى أذهان الكثيرين علم الملائكة أن الانسان سيفسد فى الأرض ويسفك الدماء . . لابد أنه كانت

هناك تجربة لخلق آخر لله أعطاهم الله سبحانه وتعالى حق الاختيار فى أن يكونوا طائعين أو يكونوا عاصين . . فأفسدوا فى الأرض وعصوا بعد أن تعهدوا بأنهم سيصلحون ويطبقون منهج الله فى الأرض - من هم هؤلاء الخلق ؟ . . قد يكونون هم الجن لأن لهم الاختيار . . ولأن منهم الصالحين ومنهم العاصين . . وفى ذلك يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا ، يهدى إلى الرشد ، فآمنا به ، ولن نشرك بربنا أحدا ، وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا ، وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططا ، وأنا ظننا أن لن تقول الانس والجن على الله كذبا ﴾

(سورة الجن - الآيات من ١ - ٥)

. . ثم تقول نفس السورة :

﴿ وإن منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا ﴾

(سورة الجن - الآية ١١)

﴿ وإنا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن اسلم فأولئك تحروا رشدا . وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا ﴾

(سورة الجن - الآيتان ١٤ و ١٥)

﴿ وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا . وإنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا . قل إنما أدعو ربى ولا أشرك به أحدا ﴾

(سورة الجن - الآيات من ١٨ - ٢٠)

وقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ سنفرغ لكم أيها الثقلان ﴾

(سورة الرحمن - الآية ٣١)

- أى الانس والجن -

وهكذا نعرف يقينا من القرآن الكريم أن الجن سيحاسب يوم القيامة . . وأن الرسالات السماوية قد نزلت إلى الانس والجن مصداقا لقوله تعالى :

﴿ وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين . قالوا ياقومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم ﴾

(سورة الاحقاف الآيتان ٢٩ و ٣٠)

فالجن منهم الصالحون ومنهم الظالمون . . ولم يخبرنا الله سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم أنه خلق شيئا مختارا فى سلوكه . . مختارا فى الايمان والمعصية إلا الجن والانس . . وقد يكون هناك خلق آخر لم يخبرنا به الله .

إذن فقول الملائكة :

﴿ أتجعل فيها من يفسد فيها ﴾ . .

قد يكون منصبا على الجان الذين خلقهم الله مختارين . من قبل . . ولكن ما هو الدليل على أن خلق الجان قد سبق خلق الانسان بحيث رأى الملائكة هذه التجربة فيمن خلقهم الله غير مسخرين ، وأعطاهم حرية الاختيار فقاسوا عليها تجربة الانسان الذى أعطى نفس الحق وهو حق الاختيار . . الدليل على ذلك يأتى من القرآن الكريم إذ يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ والجان خلقناه من قبل من نار السموم ﴾ (سورة الحجر - الآية ٢٧)

فالله سبحانه وتعالى قد أخبرنا فى القرآن أنه خلق الجان قبل خلق الانسان . . ويقول المفسرون إن الجان قد أفسدوا فى الأرض .

وعلى أية حال فإن الثابت يقينا ان الله قد خلق الجان قبل أن يخلق الانسان . . وأنه قد اعطى الجان حرية الاختيار ولم يجعله مسخرا . . وقد يكون الله سبحانه وتعالى خلق خلقا آخر قبل الجان لم يخبرنا به . . وعلى ذلك فكون الانسان ليس أول مخلوقات الله المخيرين يفتح الباب لاحتمال أن هناك خلقا أفسدوا فى الأرض . . وأن الملائكة شهدوا التجربة وقاسوا عليها .

ثم قال الملائكة :

﴿ ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ﴾

أى أن الملائكة يقولون يارب أنت قادر على أن تخلق خلقا

مسخرين يسبحون بحمدك بدلا من خلق مخيرين يفسدون فى الأرض ويكفرون بالله . . وهذا القول قد قاله الملائكة فى أنفسهم . . ولم يجهروا به كما سيأتى بيان ذلك وهذا يدل على ان الملائكة لم تفهم مرادات الله من خلق الانسان . . ذلك أن الله سبحانه وتعالى قادر على أن يخلق ما يشاء مسخرا لعبادته وتسبيحه . . ولكن الله يريد خلقا يأتيه طواعية واختيارا . . يأتيه عن حب ورغبة . . لا عن قهر ورهبة . . مخلوق قادر على ان يفعل المعصية ولكن لا يفعلها حبا فى الله . . مخلوق قادر على ألا يقوم بالطاعات والعبادات . . ولكنه يقوم بالطاعات والعبادات حبا فى الله . . مخلوق قادر زينت له الدنيا . . وزينت له الشهوات فأصبحت محببة إلى نفسه ولكنه يتركها لأن حبه لله أكبر . . هذه هى مرادات الله سبحانه وتعالى من خلق الانسان وتحميله الأمانة فى أنه يأتى لطاعة الله وحب الله ، وهو قادر على ألا يأتى . . ولذلك أعد له من النعيم فى الآخرة . . ما لم يعده لأحد من خلقه جزاء له على طاعته . . وأعد له من العذاب ما لم يعده لأحد من خلقه عقابا له على معصيته .

هذه هى فلسفة خلق الانسان ، ولذلك فإن الله إذا شاء يستطيع ان يخلق كما يشاء عبادا مقهورين له . . ولكنه يريد عبادا يأتونه عن حب وعن رغبة . . ولذلك أسقط الله الحساب عن كل اكراه فى العبادة . . وقال الله سبحانه وتعالى :

﴿ لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى ﴾ .

(سورة البقرة الآية ٢٥٦)

وقال :

﴿ إلا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ﴾

(سورة النحل ـ ١٠٦)

وقال :

﴿ ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فإن الله من بعد اكراههن غفور رحيم ﴾

(سورة النور ـ الآية ٣٣)

. ولذلك قال الله سبحانه وتعالى للملائكة :

﴿ إنى أعلم ما لاتعلمون ﴾

. . أى أن الله سبحانه وتعالى هو العليم بمراداته وان الملائكة حينما ظنوا أن الله سبحانه وتعالى يريد خلقا يسبح بحمده مقهورين لم يكونوا يعلمون علم الله سبحانه وتعالى فى أنه يريد خلقا يأتونه طائعين مختارين . . وعدم علم الملائكة من مرادات الله . . هو من تمام علم الله . . لأن الله سبحانه وتعالى محيط بعلم الملائكة . . والملائكة لا يحيطون بعلم الله .

ثم تمضى السورة الكريمة إلى قول الحق :

﴿ وعلم آدم الاسماء كلها ﴾

(سورة البقرة ـ ٣١)

وهذا إعجاز آخر من إعجاز القرآن الكريم ـ ذلك أن الله قد جعل بداية العلم للبشرية كلها بالاسماء . . فكما علم الله آدم الاسماء فإن أى بشر لا يستطيع أن يصل إلى العلم الذى يؤهله ليبدأ

التحصيل إلا إذا تعلم الأسماء . . خذ الطفل الصغير . . أى طفل فى أى مكان فى العالم - كيف يبدأ تعليمه ؟ . . إذا كان فى المدرسة أو كان أميا فى البيت يبدأ تعليمه الاسماء أولا . . فيقال له هذا كوب . . وهذا جبل . . وهذا رجل . . وهذا بيت . . وهذا بحر . . وهذا شارع . . وهذه قطة . . وهذه امرأة الخ . . وبعد ان يتعلم الأسماء يبدأ فى تحصيل العلم ولكن بعد أن يكون قد استوعب الاسماء . . وحتى الطفل الأمى الذى لا يذهب إلى المدرسة تقوم أمه بمهمة تعليمه الاسماء حتى يستطيع ان يتعلم بعد ذلك كيف يمضى فى حياته العادية . . وبدون تعلم الأسماء فإن الطفل يتعثر ولا يستطيع أن يمضى ولا أن يحصل علما .

وهكذا أنبأنا القرآن بالطريقة التى حددها الله ليحصل الانسان على العلم بداية بالاسماء . . بل وأكثر من ذلك بالاستعانة بالصورة كما سيأتى بعد ذلك . . إذن كون البشرية كلها حتى يومنا هذا تبدأ بالتعليم دليل على إعجاز القرآن الكريم الذى حدد لنا طريقة البداية فى التعليم .

علم الله سبحانه وتعالى آدم الأسماء كلها . . وعرف آدم الاسماء . . ثم ماذا حدث بعد ذلك . .

﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة ، فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين ﴾

(سورة البقرة - ٣١)

أى أن الله سبحانه وتعالى بعد أن علم آدم الأسماء عرضهم على الملائكة . . وطبعا لم يعرض الله الأسماء على الملائكة ، وإنما عرض

المخلوقات التى تطلق عليها هذه الأسماء على الملائكة بدليل أن الله سبحانه وتعالى قال :

﴿ أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ﴾

(سورة البقرة - ٣١)

وقول الله سبحانه وتعالى:

﴿ أنبئونى بأسماء هؤلاء ﴾

دليل على أنه لم يعرض الأسماء على الملائكة ، ولكنه عرض المخلوقات التى تطلق عليها هذه الأسماء . . ثم طلب من الملائكة أن يقولوا له الأسماء .

وهنا لابد ان نتوقف عند قول الله :

﴿ إن كنتم صادقين ﴾

ذلك أن الله سبحانه وتعالى يريد أن يفهم الملائكة أنهم لم يكونوا صادقين فى فهمهم لمرادات الله من خلق الانسان . . ومن عدم فهمهم أن الله سبحانه وتعالى يريد أن يخلق من يعبده عن اختيار وحب ورغبة . . لا عن قهر ورهبة . .

وهنا اعترف الملائكة بعجزهم أمام علم الله سبحانه وتعالى . . واعترفوا بأنهم لم يفهموا مرادات الله ، حين قال لهم .

﴿ إنى جاعل فى الأرض خليفة ﴾

(سورة البقرة - ٣٠)

فقالوا سبحانك . . أى تعاليت وتنزهت عن أن يحيط بعلمك ، وبمراداتك أحد . . وسبحان الله وليس كمثله شيء . . هى ما نلجأ إليه عندما ننسب الفعل إلى الله سبحانه

وتعالى . . حينئذ يكون الفعل خارجا عن كل قيود وتصورات البشر . . ويكون فى كل معجزاته وخرقه لنواميس الكون إنما هو مناسب لقدرة الله سبحانه وتعالى الذى خلقت هذه النواميس والقوانين ، والتى تستطيع أن تخرقها متى شاءت . . وأن تفعل من المعجزات ما تشاء . . وقال الملائكة معترفين بعجزهم أمام قدرة الله سبحانه وتعالى :

﴿ سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ﴾

(سورة البقرة - ٣٢)

وكل مخلوقات الله لا علم لهم إلا ما أتاحه الله لهم من العلم . . فالعلم كله يأتى من الله . . والله يكشف من علمه وقدراته فى الكون ما يشاء لمن يشاء . . وكل كشف علمى فى الكون قد جعل الله له ميلادا أو موعدا يكشفه فيه للبشر . . فإن صادف مولد هذا العلم باحثا يبحث فيه كشفه الله له . . وإن لم يصادف تم الكشف بما نسميه نحن الصدفة . .

والمصادفة التى ندعيها فى الكون . . هى الموعد أو الميلاد الذى حدده الله سبحانه وتعالى ليكشف عن قانون فى الكون يجهله الناس . . عسى أن يدركوا بهذا القانون الذى كان يعمل فى خدمة الانسان ولم يكن أحد يدرى عنه شيئا . . عسى أن يكتشفوا بهذا القانون إعجازا من إعجازات الله فى كونه . . فيزيدهم هذا الاعجاز فهما وإدراكا لعظمة وقدرة الله سبحانه وتعالى . .

ولكن الذى يحدث للأسف الشديد أن الانسان ينسب الفضل لنفسه . . وينسب الكشف لنفسه وينسى قدرات الله . . وكل شىء فى هذا الكون ابتداء وانتهاء هو من الله . . فحبة القمح التى

نأكلها الآن أتت من زرعة القمح فى الموسم الماضى . . وزرعة القمح فى الموسم الماضى أتت من زرعة القمح من الموسم الذى قبله . . وهكذا تسلسل الأشياء حتى نصل إلى حبة القمح الأولى التى لم تأت من موسم سبق . . من أين أتت هذه الحبة ؟ . . من الله سبحانه وتعالى . . والشجرة التى تراها أمامك جئنا ببذرتها من شجرة سابقة . . والسابقة جئنا ببذرتها من شجرة أسبق وهكذا نمضى حتى نصل إلى الشجرة الأولى . . من الذى أنبتها ما دامت لم تأت من شجرة سابقة . . فلا بد أن الله سبحانه وتعالى هو الذى أوجدها .

ونفس الشىء ينطبق على الانسان والحيوان . . فكل حيوان موجود . . هو مولود من حيوان سبق . . والحيوان الأول لابد ان يكون قد خلقه الله . . وإذا طبقنا نفس النظرية على الانسان . . نسأل انسانا من أين جئت ؟ فيقول من زواج أبى وأمى . . هذا إذا أخذنا بظاهر الأسباب . . والأب والأم جاءا من أبوين وأمين سابقين . . وهكذا نمضى حتى نصل فى النهاية إلى انه لابد أن يكون هناك ذكر وأنثى جاءا من خلق مباشر . . وهذا الخلق المباشر هو الذى أوجده الله بخلق آدم وحواء . . والعجيب أن العلماء الذين يتناولون هذه المسألة قد دخلوا فى متاهات كثيرة . . ولعل من أكثر هذه المتاهات شيوعا ، وأقربها إلى العقول الجدل العنيف الذى يدور حول هل وجدت البيضة أولا أم الفرخة ؟ . . وفى هذه تتصارع النظريات وتختلف الآراء . . وكل يحاول ان يدلل على صدق تخمينه . . وكل هذه النظريات خاطئة تدل على جهل بشرى بحقيقة الخلق . . والله سبحانه وتعالى قد أخبرنا أنه

خلق كل شيء من ذكر وأنثى . . فإذا وجد الذكر وحده دون الأنثى فنى الخلق بعد فترة قصيرة . . وإذا وجدت الانثى وحدها بدون الذكر فنى الخلق بعد فترة قصيرة . . وإذن لابد من ذكر وأنثى ليتم التكاثر وتتم استمرارية الخلق .

ولقد تنبهت البشرية فى الفترة الأخيرة إلى هذا الاعجاز الذى ذكره القرآن الكريم منذ أكثر من أربعة عشر قرنا . . ولذلك فإن النظريات الحديثة للقضاء على الآفات الزراعية قد تنبهت إلى حقيقة ان الاستمرارية جعلها الله سبحانه وتعالى فى الذكر والأنثى معا . . ووصلت إلى اختراعات بالاشعة وغيرها تقوم بها بتعقيم الذكور فتنتهى الآفة تماما . . أو تقوم على أساس القضاء على إناث الحشرات فتنتهى الآفة تماما ولا تعود . . ولكن البشرية كانت تعتمد منذ أعوام قليلة على إبادة الحشرات دون تمييز بين ذكر وأنثى . . ولذلك لو أفلتت من هذه الابادة انثى واحدة وذكر واحد ، لعادت الحشرة إلى تكاثرها من جديد . . وبدأت تهدد باتلاف الزرع والنباتات مرة اخرى . . ومهما كانت المبيدات التى تستخدم فى هذا المجال قوية فانه فى معظم الأحيان يفلت من الابادة عدد ولو قليل جدا من الذكور والاناث لتعود الآفة الحشرية مرة أخرى أقوى مما كانت .

ولذلك فإن السؤال عمن الذى وجد أولا البيضة أو الفرخة سؤال ساذج ، لأن البيضة لو لم توجد ملقحة لا يخرج منها الكتكوت لذلك لو أتينا بعدد كبير من الفراخ التى تبيض ولم يتم تلقيح هذا البيض بواسطة الذكور . . فانه لا ينتج عنه شيء ولا يخرج منه كتكوت واحد مهما بلغ عدد هذا البيض . . ولكن إذا وجد الديك والفرخة معا . . أمكن أن تنشأ أجيال من الدجاج

بعد ذلك . . وهذا ينطبق على النبات أيضا . . فإذا لم توجد الذكورة والانوثة فى النبات لا يتكاثر ولا يعطى ثماره . . ولذلك فإن الانسان يكون حريصا على تلقيح أنثى النبات بالذكر كما يحدث فى النخل مثلا . . وأحيانا تكون الذكورة والانوثة موجودة فى زهرة واحدة أو فى شجرة واحدة فيتم التلقيح ذاتيا . . وأحيانا تحمل الرياح عوامل الذكورة من زهرة إلى زهرة أخرى . . بل انه ثبت أخيرا من الأبحاث العلمية أن هناك ذكورة وأنوثة فى السحاب . . ولقد استخدمت فى الحروب الأخيرة وخصوصا فى حرب فيتنام حيث كانت الطائرة تقوم برش ذرات تشبه ذرات ذكورة السحاب فينزل المطر من السحابة . . وقال بعض الجهلاء ان هذا انكشاف لأحد الغيبيات الخمسة التى اختص الله بها نفسه فى قوله تعالى « وينزل الغيث » . . ونسوا أن عملية المطر تبدأ من البخر من سطح البحر بواسطة أشعة الشمس ومن كل المياه المعرضة للجو وأن هذه تتصاعد فى طبقات الجو العليا لتكون السحاب الذى يسوقه الله سبحانه وتعالى بواسطة الرياح إلى الأماكن التى قدر الله أن ينزل فيها المطر . . وأن هذه العملية تتم دون أن يحس بها انسان . . وأنه لا توجد قوة فى العالم تستطيع ان تقوم بعملية البخر هذه الا الله سبحانه وتعالى . . وأنه لا توجد قوة فى العالم تستطيع ان تأخذ سحابا وتنقله من مكان إلى مكان آخر بواسطة وسائل صناعية .

وتمضى الآية الكريمة بعد ان قال الملائكة :

﴿ سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ﴾ (سورة البقرة - ٣٢)

أى أن الله سبحانه وتعالى هو العليم فوق كل عليم والحكيم الذى لا يدرك خلقه حكمته فى كثير من الأمور . . وهنا قال الله لآدم :

﴿ يا آدم أنبئهم بأسمائهم ﴾

(سورة البقرة - ٣٣)

أى أن الله سبحانه وتعالى طلب من آدم أن ينبىء الملائكة بأسماء تلك المخلوقات التى لا يعرفون أسماءهم والتى عجزوا أن يذكروا أسماءهم أمام الله . . وهنا نتوقف قليلا لنقول كيف أنبأ آدم الملائكة بهذه الأسماء . . لابد أنه أنبأهم بها بلغة يفهمونها . . فما دامت هذه أسماء فهى تنطق أى تقال . . فمن أين عرف آدم اللغة التى يتحدث بها . . واللغة هى وليدة البيئة أى أنها لا تورث ولا تكون فى الانسان بالطبيعة . . بل لابد للانسان أن يسمع حتى يتكلم . . ولذلك نجد أن الصم الذين لا يسمعون والذين ولدوا هكذا لا يستطيعون أن ينطقوا بحرف واحد . . ولكى ندلك على ما نقول فاننا إذا أخذنا طفلا عربيا ساعة مولده وذهبنا به إلى بلاد تتكلم اللغة الانجليزية وتركناه هناك . . فإنه ينشأ يتكلم اللغة الانجليزية ولا يعرف حرفا واحدا من اللغة العربية رغم أن أصله أبا عن جدا عربى . . وإذا فعلنا العكس وأخذنا طفلا انجليزيا لحظة مولده وتركناه فى بلد يتحدث العربية فإنه ينشأ يتحدث العربية ولا يعرف كلمة واحدة من اللغة الانجليزية التى هى لغة آبائه واجداده . . فاللغة هى وليدة البيئة وليست بالمولد ولا بلغة الأب أو الأم . . والذى يتكلم لابد ان يسمع أولا قبل أن ينطق . . وآدم قد نطق بأسماء هذه المخلوقات فلابد انه سمع حتى

يستطيع ان ينطق فمن الذى علم آدم الكلام ؟ . . إنه الله . . فلا بد أن آدم لكى يستطيع ان يتكلم يكون قد سمع من الله . . وهكذا فإن هذا إعجاز آخر من إعجاز القرآن الكريم يدل على أن الله هو الذى علم الانسان الكلام . . وآدم قد تعلم اللغة من خالقه سبحانه وتعالى :

﴿ قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم . فلما أنبأهم بأسمائهم قال : ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ﴾

(سورة البقرة - ٣٣)

أى أن آدم عندما عجز الملائكة عن أن يقولوا اسماء المخلوقات التى عرضها الله عليهم طلب الله من آدم أن ينطق بهذه الأسماء فنطق بها وأنبأ بأسماء هذه المخلوقات . . وحينئذ وقف الملائكة وهم يرون هذا الاعجاز من الخالق فقال لهم الله سبحانه وتعالى :

ألم أنبئكم أنى أعلم الغيب وأعرف ما سيقع فى السموات والأرض ولا يغيب عنى شىء وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون .

وهنا نتوقف عند قول الله سبحانه وتعالى :

﴿ وما كنتم تكتمون ﴾ إذ أن هذا يبين لنا أن الملائكة لم يجهروا بالقول لله سبحانه وتعالى :

﴿ أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ﴾ .

ولكنهم قالوا ذلك فى أنفسهم دون الجهر . . وعلمه الله سبحانه وتعالى لأنه يعلم ما نخفى وما نعلن . . وعلمه رغم

كتمان الملائكة عن الجهر به . . فرد عليهم بتجربة عملية بأن علم آدم الأسماء ووقف الملائكة عاجزين عن معرفة هذه الأسماء وهنا قال الله سبحانه وتعالى للملائكة أنه رد على ما قالوه فى أنفسهم ولم يجهروا به وأنه لا شيء يغيب عن علم الله .

هنا يريد الله أن يعلمنا عدة حقائق هامة . .

أولا : أنه لا أحد يستطيع أن يحيط بمرادات الله حتى ولا الملائكة المقربون . . ذلك ان الله سبحانه وتعالى هو وحده العليم . . ولا أحد من خلقه يستطيع أن يصل إلا إلى ما يريده الله أن يصل إليه . . وأن لكل مخلوق مقامه الذى لا يتعداه . .

ثانيا : أن الله سبحانه وتعالى حين جعل الانسان خليفة له فى الأرض سخر له كل شيء تسخيرا دنيويا - أى أن كل شيء مسخر لخدمة الانسان بأمر الله . . حتى جسد الانسان وجوارحه تأتى يوم القيامة تشهد عليه لأنها مسخرة له فى الحياة الدنيا فقط . . فهى تنفذ له الخير والشر وتتبع إرادته بأمر الله . .

ثالثا : أن الله حين خلق الانسان يريد خلقا مختارا فى أن يفعل أو لا يفعل حتى يقبل هذا الخلق على العبادة عن اختيار ، وحب . .

رابعا : ان كل شيء فى هذا الكون أصله من الله ونهايته إلى الله . . وأن الثمرة الأولى والشجرة الأولى والانسان الأول وكل خلق أول هو خلق مباشر من الله سبحانه وتعالى لا يخضع للأسباب التى يتم بها ما يحدث فى الدنيا . .

خامسا : أن اللغة علمها الله لمخلوقاته ، لأن اللغة هى ابنة السماع ، ولذلك فلابد أن آدم وهو أول من خلق يكون قد علمه

الله اللغة حتى يستطيع ان يتحدث بها ، ثم أخذها أبناؤه وأحفادهم بالسماع وتعددت اللغات حسب البيئات المختلفة .

ونأتى بعد ذلك إلى موقف الشيطان من خلق الانسان . . وما هى معصية ابليس وكيف حدثت . . وهذا موضوع الفصل القادم .

■ ■ ■

يا عبـــادى

« يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا . . يا عبادى كلكم ضال إلا من هديته . فاستهدونى أهدكم . . يا عبادى كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعمونى أطعمكم . . يا عبادى كلكم عار إلا من كسوته . فاستكسونى أكسكم . . يا عبادى إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفرونى أغفر لكم . . يا عبادى إنكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى . ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى . . يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك فى ملكى شيئا . . يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكى شيئا . . يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد فسألونى فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندى إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر . . يا عبادى إنما هى أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجدا خير فليحمد الله . . ومن وجد غيرذلك فلا يلومن إلا نفسه » .

■ ■ ■

يـا ابـــن ادم

« يا ابن آدم ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالى . . يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك ولا أبالى . . يا ابن آدم إنك لو اتيتنى بقراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة » .

■ ■ ■

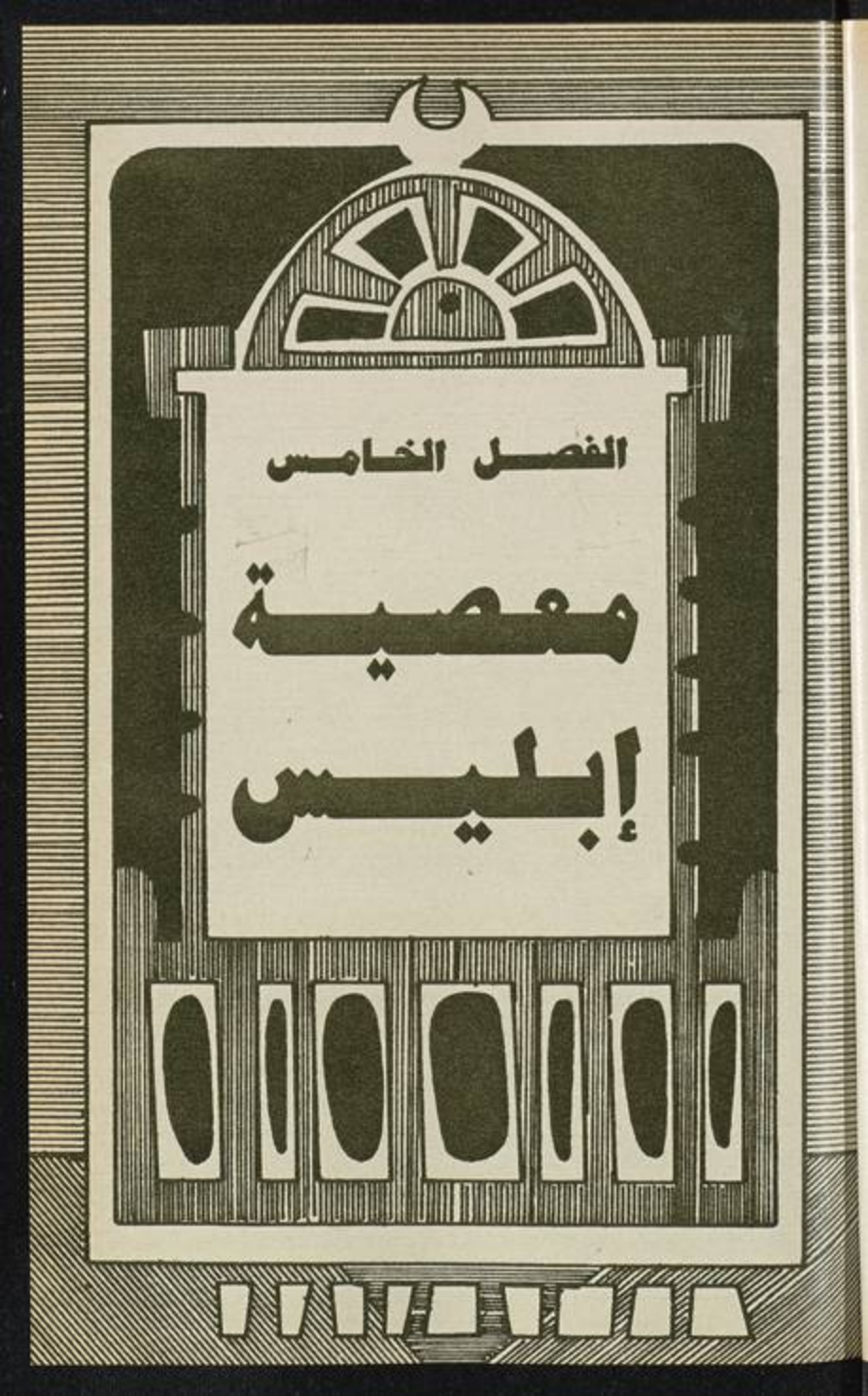

الفصل الخامس

معصية إبليس

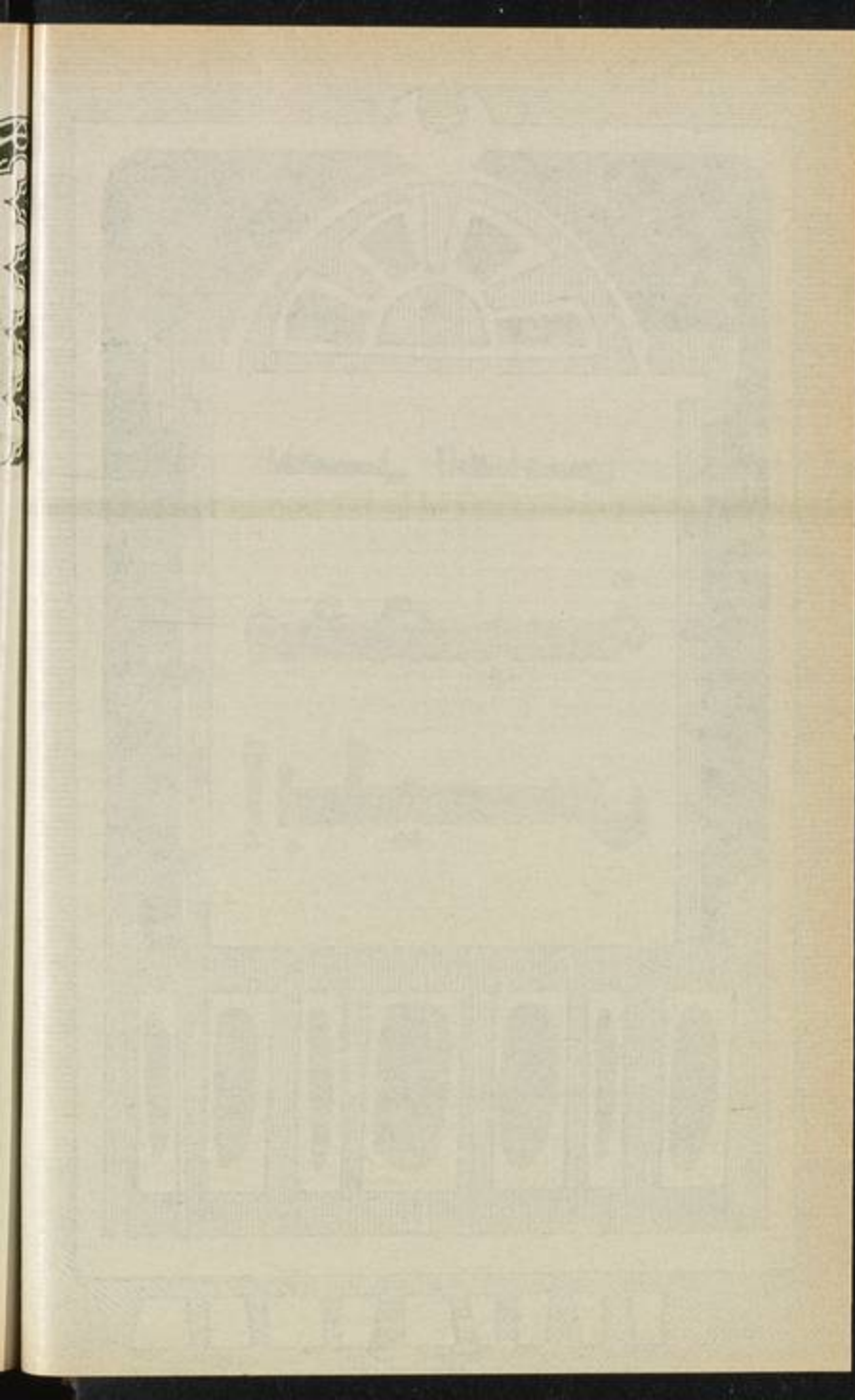

أثارت معصية إبليس جدلا كثيرا ما زال يدور حتى الآن . . والجدل هنا يدور حول قشور وظروف وملابسات لا تمس جوهر المعصية التى قام بها إبليس . . وانما تمس جوانب العلم فيها لا يفيد . . ولكن الجدل والتساؤلات تدور دائما حولها ، وكأنما لو لم نعرف التفاصيل الدقيقة لما حدث لكان لذلك أثر على جوهر ما حدث فعلا . . وهو ما ليس بحقيقة . . والحقيقة أن ابليس عصى ربه . . عصى أمر الله فى السجود لآدم . . ثم زاد على ذلك بأن رد الأمر على الأمة . . فقال أنا خير منه خلقتنى من نار ، وخلقته من طين . . وكأن الله سبحانه وتعالى تجلى وتنزه محتاج لأحد مخلوقاته ليقول له . . من هو الأحسن والأفضل . . هذا هو جوهر المعصية . .

ولكن التساؤل يدور حول أشياء هامشية . . إن أمر السجود صدر للملائكة ولم يصدر لابليس الذى كان من الجن . . فكيف يحاسبه الله على عدم السجود . . وهل كان ابليس يقف مع الملائكة وقت صدور الأمر ؟ . . بينما هو ليس منهم . . وهل كان ابليس فى الجنة وكيف يدخلها ؟ . . وإذا كانت الغواية من الله لابليس هى التى سببت المعصية مصداقا لقوله تعالى :

﴿ قال فبما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم ﴾

(سورة الأعراف - الآية ١٦)

فكيف يكون الحساب مع أن الله هو الذى أغوى . . ولماذا غفر الله لآدم ولم يغفر لابليس . . إلى آخر ما نسمعه من أسئلة تدور بين الناس حول هذا الموضوع . . محاولة أن تجد له جوابا . . أو محاولة من وراء ستار طعن الدين بإيجاد أسئلة غيبية قد تتعذر الاجابة عنها .

ولذلك فإننى رغم إيمانى بأن هذه الأسئلة جانبية . . سأحاول أن أجيب عنها كلها . . لا بالنسبة لأهميتها ولكن حتى تستخدم فى محاولة التشكيك فى دين الله . . وسأستخدم الأدلة من القرآن قدر ما يهدينى الله إلى ذلك .

تبدأ القصة عند أمر الله للملائكة بالسجود . .

﴿ وإذا قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من صلصال من حمإٍ مسنون . فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين . فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا ابليس أبى أن يكون مع الساجدين ﴾

سورة الحجر - الآيات من ٢٨ - ٣١)

. . وهكذا عندما خلق الله آدم قال للملائكة انى خالق بشرا . فإذا سويته . . أى جعلته على الهيئة التى سيكون عليها . ثم بعد

ذلك وهبته الحياة بالتقاء الروح بالجسد . . فنفخت فيه من روحى فاسجدوا له . . فسجد الملائكة كلهم إلا ابليس . .

وهنا تأتى وقفتنا الأولى . . ان الخطاب هنا للملائكة . . وإبليس من الجن أى أن الله سبحانه وتعالى لم يوجه الخطاب إليه . . فلماذا قال الله سبحانه وتعالى « إلا ابليس أبى » نقول ان الأمر يصدر إلى الأعلى ويكون الأدنى منه مطالبا بأن ينفذ هذا الأمر بالتبعية . . فإذا قلنا مثلا ان الوزير لا بد أن يكون فى مكتبه فى الساعة التاسعة صباحا . . انصب هذا الأمر على من هم أدنى منه دون أن نذكرهم . . فما دام الوزير سيأتى إلى مكتبه فى التاسعة صباحا . . فإنه من باب أولى أن يكون وكلاء الوزارة ومديرو العموم وغيرهم فى مكاتبهم قبل ذلك الموعد ، أو على الأقل فى مثل هذا الموعد . . فالأمر انصب عليهم دون ذكرهم بالاسم . . وإذا قلنا ان رئيس الدولة سيكون فى موقع ما الساعة الثامنة صباحا . . فمن باب أولى أن يكون كل المسئولين عن هذا الموقع فى أماكنهم قبل الثامنة صباحا .

إذن فالأمر إلى الأعلى يشمل الأدنى دون أن يذكر بالاسم . . فإذا كان الأمر قد صدر إلى الملائكة ، وهم أعلى فى المرتبة عند الله من الجن ، فمن باب أولى أن يشمل الأمر الجن وغيره من المخلوقات الذين هم أدنى من الملائكة ولو لم يذكروا . . ولو لم يحددوا بصفاتهم . . ومن هنا فإن الأمر حين صدر إلى الملائكة قد صدر إليهم وإلى من هم أدنى منهم فى الخلق ، ولو لم يذكروا بالاسم . . وهكذا فإن القول بأن الأمر لم يصدر لابليس بالسجود مردود عليه بأن أمر السجود يشمله ما دام قد صدر للملائكة الذين

هم أعلى منه . . ويبين الله سبحانه وتعالى ذلك فى قوله :

﴿ إلا ابليس أبى أن يكون مع الساجدين ﴾

(سورة الحجر - الآية ٣١)

ويقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ يا إبليس مالك ألا تكون مع الساجدين ﴾

. . أى أن ابليس أبى أن يكون مع الساجدين من الملائكة وغيرهم . . أى أبى أن يكون مع كل من سجد لأمر الله . . ولقد حسم الله سبحانه وتعالى هذه النقطة أنه كان فى علمه نّ هناك من سيأتون ويجادلون بالباطل . . ويقولون أن الأمر صدر للملائكة ولم يصدر للجن . . فقال الله :

﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه ﴾ (سورة الكهف - آية ٥٠)

وقال :

﴿ ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك ﴾

٢٤٢(سورة الأعراف - الآية ١٢)

. . ومعنى فسق أنه عصى وخرج عن المنهج . . وهنا يجب أن نتنبه إلى قول الله تعالى :

﴿ ففسق عن أمر ربه ﴾

أى أن الله سبحانه وتعالى يريد أن يلفتنا إلى أن الأمر قد صدر منه إلى الجن بالسجود فقوله تعالى :

﴿ ففسق عن أمر ربه ﴾

دليل على أن أمر الله سبحانه وتعالى صدر إلى الملائكة ، ومن هم أدنى منهم . . وحتى يحسم الله الجدل البشرى الذى سيحدث حول ذلك . . أتى بها صريحة مباشرة بعد أن ذكرت مجملة فى أمر السجود للملائكة . . ففى الأمر الأول لم يفصل لنا الله من شملهم أمر السجود . .

ولكنه فى هاتين الآيتين ذكر لنا أن أمر السجود لآدم قد شمل الجن وابليس الذى كان من الجن . . وأن ابليس عصى أمر ربه بالسجود حتى لا يأتى قائل ، ويدعى كما يقال الآن أن الأمر بالسجود لم يشمل ابليس لأنه كان من الجن والله قال :

﴿ ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك ﴾

وقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ فسجد الملائكة كلهم أجمعون ﴾

دليل على أنه لم يشذ ملك واحد عن أمر الله بالسجود . . لأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

لماذا لم يسجد ابليس . . يقول الله سبحانه وتعالى فى سورة الحجر . .

﴿ إلا إبليس أبى ﴾

. . ويقول فى سورة ص :

﴿ إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين ﴾

ويقول فى سورة البقرة :

﴿ إلا إبليس أبى واستكبر ، وكان من الكافرين ﴾

ويقول فى سورة الكهف :

﴿ إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه ﴾ . .

. . الآية الأولى تبين لنا أن إبليس رفض السجود . . والآية الثانية تعطينا تفاصيل أكثر ، وتقول إن الكبر قد ملأ صدر إبليس ، واستكبر على أمر الله بالسجود . . والآية الثالثة تبين لنا أنه لم يرفض السجود فقط ، ولكنه رفض واستكبر على أمر الله . . أى أنها جمعت الصفتين معا . . والآية الرابعة تبين أنه عصى أمر ربه . . هذه الآيات تصور لنا أبعاد المعصية التى تمت . . فعندما أصدر الله سبحانه وتعالى أمره إلى إبليس بالسجود فإنه رفض تنفيذ الأمر ، وهذه هى المعصية الأولى . . أمر من الله يصدر وابليس يرفض التنفيذ . .

وما دام ابليس قد رفض التنفيذ فلا بد أن نعرف بدهيا أن الله سبحانه وتعالى خلقه مختارا فى أن يفعل أو لا يفعل . . فلولا أن

الله أعطاه حق الاختيار ، لما استطاع ابليس أن يرفض السجود حين أمره الله بذلك . . وهنا دخل ابليس فى المرتبة الأولى ، وهى المعصية . . والله سبحانه وتعالى فى منهجه أمر بأشياء ونهى عن أشياء . . وخلق الانسان فى الدنيا مختارا فى أن يطيع أو لا يطيع . . أى أن ذلك يحدث باختيار البشر حتى يكون الحساب عدلا . . وبما أن الجن أعطاه الله حق الاختيار كالبشر ، فهو يملك أن ينفذ أو أن يأبى التنفيذ ـ وحسابه على ذلك يكون من الله فى الدنيا وفى الآخرة .

ولكن إبليس لم يرفض تنفيذ أمر السجود فقط . . ولكنه استكبر عن تنفيذ أمر الله . . أى أنه دخل الكبر إلى نفسه . . فلا يمكن أن يقال انه سها مثلا عن السجود . . أو أنه نسى . . أو أنه عصى فقط . . بل انه استكبر على أمر الله سبحانه وتعالى . . أى كانت المعصية بعدم الطاعة استكبارا على أمر الخالق والعياذ بالله . . وهنا وصفه الله سبحانه وتعالى بأنه من الكافرين . . لماذا ؟ لأن الاستكبار على أمر الله هو إهدار لمعنى الألوهية فى النفس . . فالاله هو القوى القادر الذى يعبد ويطاع . . وما دمت قد آمنت بالله ربا وخالقا ، فإنك قد أوجبت على نفسك الطاعة ، وأسلمت زمامك لله ، وآمنت بأنه هو العليم والحكيم والقادر . . والايمان هو خشوع لله . . هو اعتراف من النفس البشرية بضآلتها أمام قدرة الله سبحانه وتعالى . . ولذلك يقول الله فى سورة المؤمنون :

﴿ قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون ﴾

(سورة المؤمنون ـ الآيتان ١ ، ٢)

أى أن الخشوع لله هو علامة الايمان . . قد تذل النفس البشرية وترتكب المعاصى . . ولكنها تعود فتتذكر قدرة الله فتستغفر . . وقد تكون النفس البشرية ضعيفة فلا تقوم بتطبيق المنهج كما أمر الله به . . ولكن هذا لا يعنى أنها استكبرت على الله . . بل هو ضعف فى أن تحمل النفس صاحبها على المنهج . . وقد تلهى الانسان الدنيا . . ولكن إذا ذكر الله أحس بالرهبة تملأ قلبه . .

وإذا ذكره أحد بالله قال سبحانك . . ولكن الذى يستكبر يريد أن يضع نفسه فوق مرتبة الألوهية . . انه لا ينفذ الأمر فقط . . ولكنه يحس أنه أكبر من أن ينفذه . . وأكبر من أن يؤمر . . وأنه أكبر من أن يطيع . . وفى هذه الحالة يكون قد وصل إلى مرتبة الكفر ، والعياذ بالله ، وهى المرتبة التى وصل إليها إبليس حين استكبر أن ينفذ أمر الله بالسجود . . ولذلك وصفه الله سبحانه وتعالى بأنه من الكافرين . .

وهنا . . ولأن الكبر دخل فى نفس إبليس ولم ينطق به . . ولأن الكفر ملأ نفسه ولكنه لم يعلنه . . أراد الله سبحانه وتعالى أن يكون ابليس شاهدا على نفسه بالكفر . . حتى لا يأتى يوم القيامة وينكر ذلك أو يحاول أن يلتمس الأعذار . . وبذلك ليكون ابليس شهيدا على نفسه . . كما سيكون الكافرون شهداء على أنفسهم يوم القيامة . .

ولنوضح هذه النقطة قليلا . . الله سبحانه وتعالى يعلم ما تخفى الأنفس وما تكن الصدور . . وهو يعلم السر وما هو أخفى من السر . . والسر هو الذى تهمس به إلى أحد من أصدقائك أو اخوتك الذين تثق بهم . . على أن يكون هذا فى الخفاء

أى بينك وبينه ، دون أن يعلمه أحد غيركما . . أى أن السر يشترك فيه اثنان . . ولكن ما هو أخفى من السر هو ما تخفيه فى صدرك ولا تبوح به لأحد أبدا . . ولكنه يبقى فى صدرك وحدك ولا تبوح به لأحد أبدا . . والله سبحانه وتعالى حين أعطى للانسان حق الاختيار جعله شهيدا على نفسه . . بمعنى أن الايمان يمر بتجربة عملية مشهودة . . لأن القول غير العمل . . فأنت حينما يأتى إليك شخص يطلب منك شيئا قد تعده به . . ولكن عندما يأتى وقت التنفيذ تتكاسل ، أو تجد أن الأمر صعب ، أو تجد أن المسألة محتاجة منك إلى جهد . . فلا تترجم ما قلته إلى عمل . . فأنت حين يقال لك لا تكذب ، ولا تسرق ، ولا تشرب الخمر إلى آخره . .

من السهل على النفس البشرية أن تقول نعم لن أفعل ذلك . . وهذا ليس اختبارا حقيقيا للايمان . . ولكنك لو وجدت المال الحرام أمامك تستطيع أن تأخذه دون أن يراك أحد . . فإنك فى هذه الحالة قد تضعف ، وتسول لك نفسك أن تمد يدك إلى المال الحرام . . رغم انك قد عاهدت الله على ألا تمد يدك . . وأنت حين تجلس فى مجالس الخمر قد تمتد يدك لتتناولها ضعفا منك أو إغراء ممن يتناولون الخمر حولك . .

وهكذا جعل الله أحداث الدنيا اختبارا عمليا للايمان وتمحيصا لما فى الصدور . . وهو يبلوك بالخير والشر ليرى أتطيعه فى الخير وتنفق فيما يرضى الله . . أم تنفق فى المعاصى . . وليرى إذا كنت ستصبر على الشر وتحمد الله . . أم ستضيق نفسك وترتكب ما يغضب الله . . وليس هذا عن عدم علم الله بما ستفعل . .

ولكن لتكون شهيدا على نفسك يوم القيامة . . تماما كما تأتى للطالب فى العام الدراسى وتسأله هل أديت واجبك ، واستذكرت دروسك فيقول نعم . . فتقول سأمتحنك . . الأستاذ عندما يمتحن تلميذه لا يمتحنه ليزداد منه علما . . أو لأنه يجهل ما يعلمه التلميذ فهو الذى علمه . . ولكن ليكون التلميذ شهيدا على نفسه . . فإذا رسب فى الامتحان وجاء يجادل أستاذه . . والانسان أكثر شىء جدلا . . إذا حدث ذلك أخرجت له ورقة الامتحان أمامه ، وأريته اجابته فلا يستطيع أن ينطق . . وفى ذلك يقول الله سبحانه وتعالى عن الحساب يوم القيامة :

﴿ اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ﴾ . .

(سورة الاسراء - الآية ١٤)

ولذلك شاء عدل الله سبحانه وتعالى أن يجعل إبليس شهيدا على نفسه فقال :

﴿ يا إبليس مالك ألا تكون مع الساجدين ﴾

(سورة الحجر - الآية ٣٢)

. . وقال :

﴿ ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك ﴾

(سورة الأعراف - الآية ١٢)

. . ويجب ألا نأخذ هذا الاستفهام من الله سبحانه وتعالى . .

أنه عدم علم بما فى صدر ابليس من الاستكبار . . فالله تبارك وتعالى يعلم لماذا لم ينفذ إبليس أمر السجود لآدم رغم أن ابليس لم ينطق بذلك . . ومن هنا فإن هذا السؤال ليس استفهاما . فعلم الله سبحانه وتعالى يحيط بكل شىء . . ولكن لكى يكون ابليس شهيدا على نفسه يوم القيامة . . وفعلا فإن ابليس الذى ركبه الكبر والغرور نطق ليشهد على نفسه شهادة الكفر فقال :

﴿ لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإٍ مسنون ﴾

(سـورة الحجـر - الآية ٣٣)

. . وقال :

﴿ أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين ﴾

(سـورة ص - الآية ٧٦)

. . وقال :

﴿ أأسجد لمن خلقت طينا ﴾

(سـورة الاسـراء - الآية ٦١)

. . وهكذا شهد ابليس على نفسه بالكفر ورد الأمر على الآمر . . وأخرج الكبر الذى كان يعلمه الله والذى أخفاه إبليس فى صدره - فقال :

﴿ لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإٍ مسنون ﴾

(سـورة الحجـر - الآية ٣٣)

أى أنك يارب خلقت من هو أدنى منى ثم أمرتنى أن أسجد له . . وهكذا أنكر على الله سبحانه وتعالى الأمر . . وقال أنا خير منه . . أى أنه لم يتعال فقط على آدم . . بل تعالى على أمر الله له بالسجود لآدم . . فقال أنا خير منه . . وكأن علمه والعياذ بالله يفوق علم الله الذى خلقه . . وأضاف فى حيثيات حكمه هذا :

﴿ خلقتنى من نار وخلقته من طين ﴾ . .

. . وفى كلا الأمرين تظهر حماقة إبليس التى قادته إلى الكفر . . وغباء إبليس الذى أدى إلى طرده من رحمة الله . . فهو يقول فى الحيثية الأولى :

لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإٍ مسنون ﴾ . .

. . ثم يضيف فى الحيثية الثانية :

﴿ خلقتنى من نار وخلقته من طين ﴾ . .

. . وهنا يعترف إبليس بأن الله هو خالقه وهو خالق آدم . . وهذه حقيقة لم يستطع ابليس أن ينكرها لأنه مهما بلغ من الكبر ، فإنه لا يستطيع أن يدعى أنه خلق نفسه . . وما دام ابليس يعترف بأن الله هو الخالق . . فإن الذى خلق هو أعلم بمن هو خير . . ولا يعلم هذه الحقيقة إلا الخالق فليس هناك من هو أدرى بخلقه من خالقهم . . فإذا كان الله سبحانه وتعالى هو الذى خلق . .

وهو العليم بخلقه قد كرم آدم . . فهل يأتى المخلوق ويقول للخالق :

﴿ أنا خير منه ﴾ . .

وهل المخلوق أعلم من الخالق بما هو خير وما هو شر . . ان الذى يصنع شيئا هو أدرى الناس بصنعته . . فإذا صنع انسان آلة مثلا فهو أدرى الناس بها . . وكل من يستخدم هذه الآلة يأخذ علمه عن صانعها . . فإذا صنع آلة أخرى هى خير من الآلة الأولى . . ثم قال ذلك للعالم أجمع فلا أحد يستطيع أن يناقشه لأنه هو الصانع وهو الأدرى بصنعته . .

فإذا كان ذلك يصدق فى دنيا البشر فما بالك مع الله سبحانه وتعالى . . أيأتى مخلوق والعياذ بالله ليقول لخالقه أنا خير من من . . أيستطيع مخلوق مهما علا وبلغ أن يقول لخالقه أنا خير من فلان الذى خلقته . . أليس هذا غباء وعدم فطنة . . ولكنه الكبر يعمى الصدور . . ويوقف العقول . . ويجعل المخلوق يحسب بغروره أنه لا عليم غيره ولا حكيم سواه . . ولو كان هذا الكبر عن عمل أو عن علم . . لكان هناك التماس لعذر ما . . ولكن إبليس لم يعمل شيئا تميز به عن آدم . . ولم يعلم سر خلقه ولا سر خلق آدم . . ومع ذلك فقد دفعه الكبر إلى الكفر . . ودفعه الكفر إلى أن يرد الأمر على الله . . ويقول انه خير من آدم . . لأنه خلق من نار وآدم خلق من طين . . وهل مادة الخلق هى التى تميز مخلوقا عن مخلوق . . أم أن الله سبحانه وتعالى الذى خلق ووضع الأسرار والصفات فى هذا وذاك . . هو وحده جل جلاله الذى

يقول من أفضل من من . . لأننا نعلم انه هو الذى خلق . . وهو وحده الذى يعلم من هو خير من من . . ولا يستطيع أحد أن يدعى هذا العلم . .

وهكذا نطق إبليس بالكفر ورد الأمر على الآمر . . وقال لا أسجد لأننى أنا خير منه . . وأوهمه الجهل أنه يعلم بينما هو لا يعلم شيئا . .

حينما فعل إبليس ذلك . . قال الله سبحانه وتعالى :

﴿ فاخرج منها فإنك رجيم ، وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين ﴾

(سـورة الحجـر - الآيتان ٣٤ و ٣٥)

. . وقال سبحانه وتعالى :

﴿ فاخرج منها فإنك رجيم ، وإن عليك لعنتى إلى يوم الدين ﴾

(سـورة ص - الآيتان ٧٧ - ٧٨)

وقال :

﴿ فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج انك من الصاغرين ﴾

(سـورة الأعـراف - الآية ١٣)

فى هذه اللحظة التى نطق فيها إبليس بالكفر طرده الله سبحانه وتعالى من رحمته . . وطرده الله سبحانه وتعالى من جناته . . وطرده الله سبحانه وتعالى من عظيم نعمه . . وجعل عليه اللعنة إلى يوم القيامة . . وجعله من المرجومين . . وهنا خرس إبليس

الذى كان يقول لله أنا خير منه . . فلم يستطع حين طرده الله أن يفعل شيئا . . أو كما قال أنا خير منه ورد الأمر على الله . . وكما قال لن أسجد ورد الأمر على الله . . كان يستطيع أن يقول لو أن له حولا وقوة لن أخرج . . ولكنه فى السجود وعدم استخدام مشيئة الله فى أنه جعله مختارا فى أن يسجد أو لا يسجد . . أما عندما قال له الله اخرج منها . . فقد كان ذلك أمرا من الله سبحانه وتعالى لا يستطيع إبليس أن يعارضه لأن الله جل جلاله لم يعطه الاختيار فى أن يخرج أو لا يخرج . .

وقال الله سبحانه وتعالى لإبليس :

﴿ عليك اللعنة ﴾ . . ﴿ وعليك لعنتى ﴾

. . أى اللعنة على عمومها من كل طائع لى مسبح بحمدى سواء كان من الملائكة أو من البشر أو من كل ما خلق الله . . وفوق لعنات هؤلاء جميعا فإن عليه لعنة الله التى هى أكبر وأقوى من كل هذه اللعنات والتى ستتبعه إلى يوم القيامة حيث يخلد فى النار .

وهنا يثور سؤال . . لماذا لم يلق الله سبحانه وتعالى بإبليس فى النار فى اللحظة التى أعلن كفره فيها ورد الأمر على الآمر . . نقول ان الله سبحانه وتعالى قد أخذ على نفسه عهدا بأن يوم القيامة هو يوم الحساب ، ومن أصدق من الله حديثا . . ولذلك لم يكن الله ليغير أمره ويأخذ بإبليس ويلقيه فى جهنم فى التو واللحظة . . بل كان لابد أن ينتظر إلى يوم الحساب ، لأن الله لا يخلف وعده . . تماما كما يمهل الله الكافرين فى الدنيا ولا يأخذهم ليلقى بهم فى النار لحظة كفرهم . . والله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى ﴾

(سورة فاطر - ٤٥)

هنا تضاءل إبليس وأحس بالذنب الذى ارتكبه . . تضاءل بعد أن كان مستكبرا على الله يرفض السجود ويقول أنا خير منه . . تضاءل ليقول :

﴿ قال رب فانظرنى إلى يوم يبعثون ﴾

(سورة الحجر - الآية ٣٦)

هنا تضاءل إبليس ولو كان يملك من الأمر شيئا لتصرف بذاتية قوته . . ولكنه اتجه إلى الله يطلب منه أن يبقيه حتى يوم القيامة . . إلى أن تقوم الساعة . . ثم بعد ذلك يفعل به ما يشاء . . وفى هذا نرى أن القوة لله جميعا . . وأن إبليس لا يستطيع أن يبقى نفسه يوما واحدا على قيد الحياة . . أو ينجى نفسه يوما واحدا من العذاب . . فبماذا توسل إبليس إلى الله . . هل توسل له بعطاء الألوهية الذى أنكره . . لو أنه توسل له بهذا ما استجاب له الله لأنه كفر بعطاء الألوهية وأنكره . . ولكنه توسل إليه بعطاء الربوبية . . فالله رب العالمين وهو الذى استدعى هذا الخلق كله إلى الوجود . . وبما أنه سبحانه وتعالى رب لكل المخلوقات . . المؤمن منهم والكافر . . فقد أعطى عطاء ربوبيته للجميع . . المؤمن والكافر - أعطاهم مقومات حياتهم بلا تمييز . . وكفل لهم حقوقهم بلا تمييز . . فلا يجوز أن يعتدى انسان على انسان بغير حق كان ذلك الانسان مؤمنا أو كافرا . .

ولذلك قال الله سبحانه وتعالى :

« ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق » . .

(سورة الاسراء - الآية ٣٣)

ولم يقل ولا تقتلوا المؤمنين إلا بالحق . . ولكنه قال النفس على اطلاقها . . وقال :

« ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم »

(سورة الأنعام - الآية ١٠٨)

وهكذا شاء عدل الله سبحانه وتعالى أن يكون عطاء ربوبيته لكل من استدعاهم للوجود متساويا . . وانما الذى يختلف فيه الناس هو عطاء الألوهية . . فمن آمن به سبحانه وتعالى إلها كرمه فى الدنيا والآخرة . . ومن لم يؤمن عاقبه الله بذنبه .

تضاءل ابليس وتوسل إلى الله بعطاء الربوبية أن يبقيه إلى يوم يبعثون ، وقال : « **فبعزتك** » أى أنه توسل إلى الله سبحانه وتعالى بأن الله عزيز وغنى عن خلقه جميعا . . ولا يضيره . . ولا ينقص من ملكه شيئا . . ولا يمس عزته . . أن يبقى ابليس إلى يوم القيامه أو لا يبقى . . وحينئذ قال الله :

« فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم » .

(سورة الحجر - آيتان ٣٧ - ٣٨)

حينئذ . . وحين تيقن ابليس أنه سيبقى إلى يوم القيامة طفحت

عوامل الشر المختفية فى نفسه والكراهية الشديدة لبنى آدم الذى كان سببا فى طرد ابليس من رحمة الله . . وأفصح ابليس عن نواياه :

﴿ قال رب بما أغويتنى لأزينن لهم فى الأرض ولأغوينهم أجمعين ﴾

(سورة الحجر - الآية ٣٩)

. . وهنا نتوقف عند قول الله سبحانه وتعالى « **بما أغويتنى** » . . إذا كانت الغواية من الله فكيف يحاسب ابليس . . نقول لمن يسأل هذا السؤال . . انه لا شىء يقع فى كون الله دون ارادته . . والله سبحانه وتعالى شاء أن يخلق الانس والجان مختارين . . فهذه مشيئة الله . . ولا يمكن لأحد أن يدعى أنه خلق مختارا بذاته . . أو أنه أعطى حق الاختيار لنفسه . . إذن كانت مشيئة الله فى أن يخلق الانس والجان مختارين . . ومن هذه المشيئة اختار ابليس الكفر . . فلو أن الله سبحانه وتعالى خلقه مسخرا لكان خاضعا لا إرادة له - ولكنه أعطاه الارادة . . فبدلا من أن يختار الايمان اختار الكفر . . وكان يستطيع أن يختار الايمان . . إذن فالغواية أساسا تمت لأن ابليس خلق مختارا . . خلق يستطيع الاختيار بين البدائل . . ولكن الكفر وقع لأن ابليس اختار المعصية بدلا من أن يختار الطاعة . . وحيث إن الله سبحانه وتعالى لم يجبره على اختيار الكفر . . يكون ابليس قد اختار الكفر لنفسه وبارادته التى لم يتدخل فيها أحد . . اختار الكفر بذاته فاستحق العقاب . . ولكن هذا الاختيار أمكن أن يقع لأن الله سبحانه وتعالى أعطاه الارادة الحرة فى أن يفعل

أو لا يفعل . . ولكن الله لم يكرهه على الكفر . . ولكن الذى اختار الكفر بارادته هو إبليس . . وهكذا نعرف معنى الآية الكريمة :

« بما أغويتنى لأزينن لهم فى الأرض ولأغوينهم أجمعين »

(سورة الحجر - الآية ٣٩)

وقال :

« فبعزتك لأغوينهم أجمعين »

(سورة ص - الآية ٨٢)

. . أى بعزتك وأنك عزيز مستغن عن خلقك . . لك كمال صفاتك من ذاتك . . لا تحتاج لخلق من خلقك . . بعزتك هذه أعلم أنك لن تجبر أحدا على الايمان قهرا . . ولذلك فاننى سأنتقم من بنى آدم وأزين لهم الدنيا وأجلها فى أعينهم . . وأزين لهم الشر . . وأزين لهم المعصية . . وأزين لهم البعد عن صراطك المستقيم . . وأزين لهم الباطل . . ولكن هل قال إبليس انه سيفعل هذا مع الناس على اطلاقهم . . لا . . فان هناك عطاء ألوهية يحمى المؤمن ويحرسه . . وينجيه من كل شر ومن كل اغواء . . وعطاء الألوهية يحرس المؤمنين . . لذلك قال ابليس

« إلا عبادك منهم المخلصين »

(سورة ص - الآية ٨٣)

هنا نقف وقفة . . هل قال ابليس هذا منة منه على عباد الله المخلصين ؟ . . أو رحمة بهم من أن يوسوس لهم بما يؤدى بهم إلى العذاب والتهلكة . . لا . . فهو يكن العداوة لبنى آدم كلهم . .

وهو يحاول أن يغوى كل من هو على الصراط المستقيم . . ولكنه قال هذا لأنه يعرف أن عطاء الألوهية يحرس عباد الله المخلصين . . وهنا أراد الله أن يوضح هذه النقطة فقال :

﴿ إن عبادى ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين ﴾

(سورة الحجر - الآية ٤٢)

. . وهنا لابد أن نلاحظ استخدام الله سبحانه وتعالى لكلمة عباد . . فهناك عبيد . . وهناك عباد . . كلنا عبيد الله . . المؤمن فينا والكافر . . والمطيع منا والعاصى . . ولكن عباد الله هم الذين أخلصوا دينهم لله . . ولذلك نجد الله سبحانه وتعالى حين يخاطب المؤمنين فى القرآن الكريم انما يستخدم لفظ عباد

﴿ قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ﴾

(سورة ابراهيم - الآية ٣١)

﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما ﴾

(سورة الفرقان - الآيتان٦٣ - ٦٤)

. . ولذلك فان قول الله :

﴿ إن عبادى ليس لك عليهم سلطان ﴾

لا يسرى على كل خلق الله . . ولكنه ينطبق على كل مؤمن مخلص لله فى عبادته . . ولذلك فان الله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ إلا من اتبعك من الغاوين ﴾

. . أى من كان مخلصا لله سبحانه وتعالى من عباده المؤمنين ثم بعد ذلك فسق وغوى وابتعد عن المنهج . . وكفر بعد ايمان وعصى بعد طاعة . . فهؤلاء إن فعلوا ذلك لم يصبحوا عبادا لى . . بل أصبحوا عبيدا وخرجوا عن حماية عطاء الألوهية لهم من غواية الشياطين . . ويقول الله :

﴿ إن عبادى ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا ﴾

(سورة الاسراء ـ الآية ٦٥)

. . أى أنه من وكل على الله فان الشيطان لا يستطيع أن يصل إليه .

ويبين الله سبحانه وتعالى طريق الغواية الذى سيتبعه الشيطان فيقول :

﴿ ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ، ولا تجد أكثرهم شاكرين ﴾

(سورة الأعراف ـ الآية ١٧)

. . أى أن الشيطان سيحيط بالانسان من كل جهة . . ويحاول غوايته والوسوسة له . . ولكن هناك جهتين لا يأتى منهما الشيطان أبدا . . فلم يقل ومن تحتهم لأن ذلك مكان السجود ولم يقل ومن فوقهم لأن ذلك مكان رفع الصلوات والدعاء إلى الله . . وهنا يبين الله سبحانه وتعالى أن كيد الشيطان لا يؤثر على ملك الله فعندما يقول الشيطان أنه سيأتى للانسان من الأمام والخلف واليمين

والشمال ويحيط به . . يقول الله تحقيرا لشأن الشيطان ومن يتبعونه .

﴿ واستفزز من استطعت منهم بصوتك ، واجلب عليهم بخيلك ورجلك ، وشاركهم فى الأموال والأولاد ، وعدهم ، وما يعدهم الشيطان إلا غرورا ﴾

(سورة الاسراء - الآية ٦٤)

. . الشيطان يتوعد الانسان ويقول انه سيغرر به فى الدنيا عن طريق التزيين وأنه سيحيط به ليغويه فى كل لحظة . . والله سبحانه وتعالى يقول له بل افعل أكثر من هذا . . املأ آذان من استطعت منهم بصوتك . . وارهبهم بالقوة سواء كانت من الخيل أو راجلة تمشى على أقدامها وشاركهم فى الأموال وفى الأولاد . . كيف يحدث ذلك ؟ . . هل للشيطان صوت نسمعه . . هل للشيطان قوة حربية تحاربنا ؟ . . هل للشيطان أموال وأولاد ؟ . . نعم . . كل قوى الشر فى العالم يستخدمها الشيطان . . فهناك من الذين كفروا من ينطقون باسمه وينشرون الكفر والالحاد . . وهناك جنود الشيطان الذين يحاربون الحق ويعتدون على الآمنين ويبيدون الشعوب المؤمنة ويخنقونها سواء أكان اقتصاديا أم عسكريا . . وهناك المال الحرام الذى يزينه الشيطان للناس فيرتكبون به المعاصى . . هذه مشاركة الشيطان فى المال يحوله من حلال إلى حرام . . وهناك مشاركة الشيطان فى الأولاد أن ينشأوا على غير طاعة الله وينشأوا وقد عرفوا المعاصى ولم يعرفوا الطاعة . . كل هذا متاع الغرور ، أى ليس حقيقة . . ولكنه مجرد غرور وكبر فى الدنيا . . ثم تأتى نهاية الحياة فلا يأخذ الانسان

معه شيئا إلا المعاصى . . يترك المال . . ويترك القوة . . ويترك الجاه . . ويترك السلطان . . ولا يجد إلا الله ليوفيه حسابه . . كل ما فى الدنيا هو متاع الغرور إلا الطاعة مصداقا لقوله تعالى :

﴿ وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ﴾

. . والغرور هنا معناه الوعد الكاذب الذى لا يتحقق . . أى أن وعود الشيطان وما يزين به للناس المعصية ما هو الا كذب لا يمت إلى الحقيقة بصلة .

بقيت بعد ذلك نقطتان . . النقطة الأولى . . هل كان ابليس يعيش مع الملائكة وقت أن أصدر الله سبحانه وتعالى الأمر بالسجود . . بعض الناس قالوا إن الجن والملائكة كانت تعيش ذلك الوقت فى مكان واحد . . ولكن هذا القول يضع قيودا على قدرات الله سبحانه وتعالى . . ذلك أن الله سبحانه وتعالى لا يحده زمان ولا مكان . . ولذلك فانه ليس من موجبات وصول أمر السجود إلى ابليس أن يعيش مع الملائكة فى مكان واحد وقت صدور الأمر بالسجود . . ولو كان ابليس يعيش فى آخر الدنيا . . والملائكة يعيشون فى السموات العليا فان الله سبحانه وتعالى قادر على أن يوصل أمر السجود إلى الملائكة ، وابليس فى نفس اللحظة رغم بعد المسافة . . والله لا زمان عنده ولا مكان . . لأن الزمان والمكان من خلق الله . . ولذلك فهذه ليست قضية تثار . . ولا جدلا يستحق الرد .

والنقطة الثانية هل كان ابليس يعيش فى الجنة ثم طرد منها بعد المعصية مصداقا لقول الله .

﴿ فاخرج منها فانك رجيم ﴾

(سورة ص - الآية ٧٧)

وقوله تعالى :

﴿ فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج . إنك من الصاغرين ﴾

(سورة الاعراف - الآية ١٣)

. . وقول الله فاخرج منها لا يعنى مكانا على وجه التحديد فقد يكون الطرد من رحمة الله سبحانه وتعالى . . وقد يكون الطرد من نعم الدنيا والآخرة . . وقوله تعالى : « فاهبط منها » ليس معناه هبوط المسافات التى نتحدث عنها . . وانما معناه ذلة فى القدر وحطة فى القيمة وتنزيل من مقام على إلى أسفل سافلين . . والخروج منها يكون خروجا من نعم الله سبحانه وتعالى كلها . . وأنت تقول ان فلانا هبط فى نظرى . . ومعنى ذلك أنه وصل إلى درجة من الانحطاط بحيث أصبحت أنظر إليه نظرة احتقار . . ولا يوجد ما يجزم أن إبليس كان يعيش فى الجنة قبل المعصية . . ولا أنه كان يعيش مع الملائكة . . وسواء كان خروج ابليس معنويا أو حسيا . . فان المعنى لا يختلف فى أن الله طرده من كل نعيم كان يعيش فيه . . وأنزله من كل مقام كان له إلى أسفل سافلين ، والمهم فى هذا كله أنه يرينا شدة غضب الله عليه . . وشدة تحقير الله له . . وهذا ما يجب أن نفهمه دون الدخول فى جدل حول هذا الموضوع .

نأتى بعد ذلك إلى معصية آدم . . وكيف استطاع ابليس أن يوقعه فى المعصية . . وهذا هو موضوع الفصل القادم . .

■■■

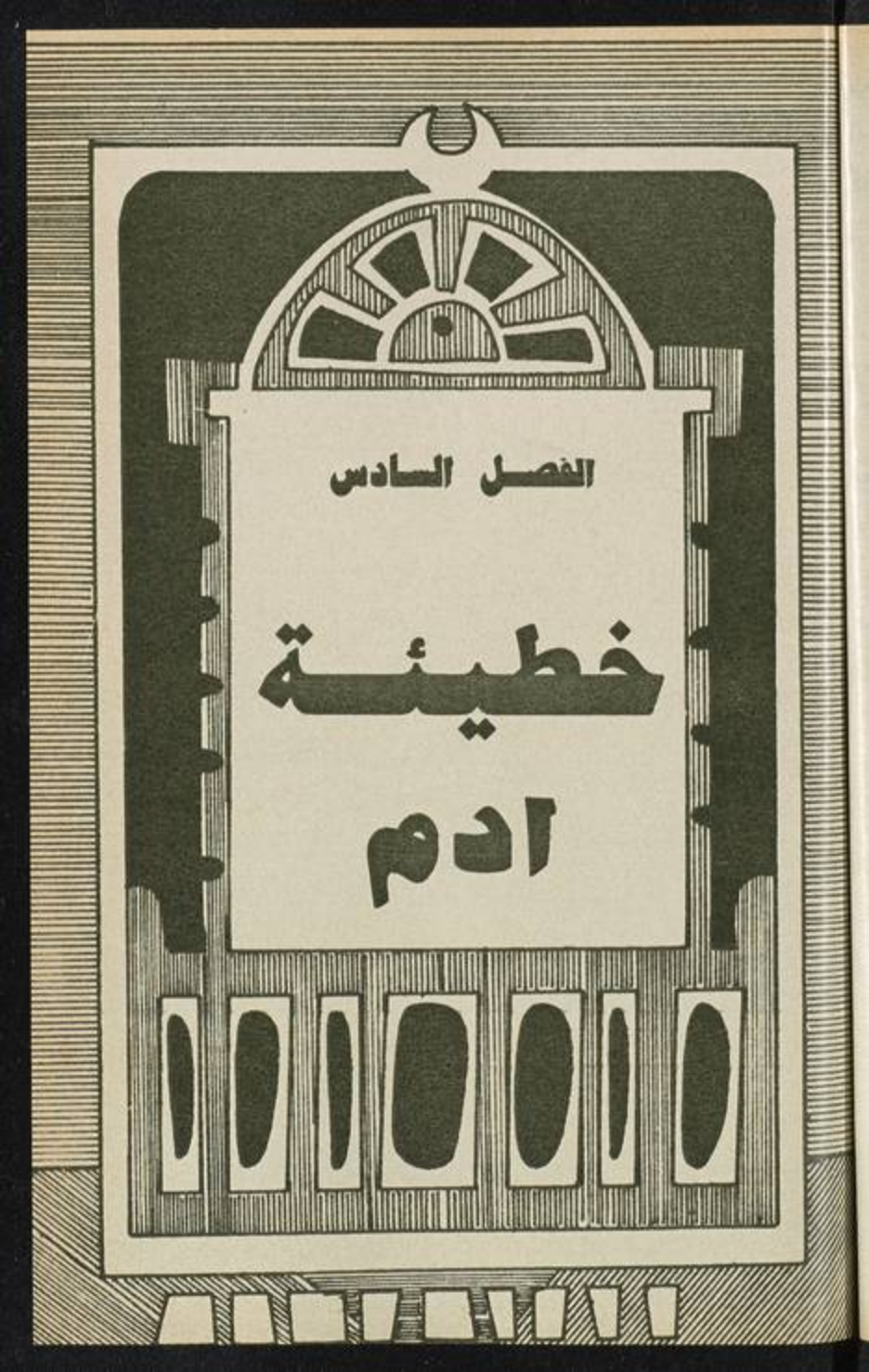

الفصل السادس

خطيئة آدم

كثير من الناس يدعون أن خطيئة ادم هى سبب خروج الانسان من الجنة . . وتجد منهم من يقول لك انه لولا أن آدم أخطأ وعصى ربه لكنا نعيش فى جنات النعيم بدلا من ذلك الشقاء الذى يملأ الأرض . . بل ان بعض النظريات التى وضعها الانسان ونسبها الى الله زورا هو أننا نعذب فى الأرض بسبب خطيئة . . وأن هذه الرحلة الأرضية بما فيها من عذاب انما هى تكفير للخطيئة التى ارتكبها آدم فى الجنة ، والتى أدت الى طرده هو وذريته منها . . وأنه لابد أن يكون هناك من يتحمل آلام البشرية وخطيئتها حتى تعود للجنة من جديد . . فان هناك من يدعى أن هناك من نزل من السماء . . وأمضى أسبوعا من الآلام فى الأرض ليحمل عن بنى آدم خطاياه ويطهرهم من خطيئة آدم . . ولذلك نسمع عن أسبوع الآلام والبكاء والدموع الى آخر ما نسمعه .

وهذه النظرية البشرية مبنية على أن العقوبة تورث ، أى أن ذرية آدم قد ورثوا مع ما أخذوه من صفات جسدية قد ورثوا المعصية عن آدم . . وأن هذه المعصية تورث من جيل الى جيل الى جيل حتى قيام الساعة . . وأننا لابد أن نبكى وأن ننتحب طالبين المغفرة من خطيئة آدم . . كل هذا يقال وتجد كثيرا من الناس يأتون بأشياء ونظريات واهية . .

والذى أحب أن أبينه قبل أن نبدأ هذا الحديث أن آدم خلق ليعيش فى الأرض حياة دنيوية . . وأنه فى ساعة الخلق قال الله سبحانه وتعالى :

﴿ إنى جاعل فى الأرض خليفة ﴾

إذن آدم خلق ليكون خليفة لله فى الأرض وليعمرها . . ولم يخلق أساسا ليعيش هو وذريته فى الجنة . . ولكنه خلق لينزل الى الأرض ويعيش فيها . . ثم تأتى الآخرة ، ويكون هناك ثواب وعقاب . . فيدخل المؤمنون الجنة ويعذب الكافرون فى النار وهذا هو قدر الله الذى أراده لبنى آدم . . ولو أن آدم استمر فى الجنة . . فكيف يمكن أن يكون هناك حساب وثواب وعقاب . . وخطيئة وتوبة . . وايمان وكفر . . الى آخر ما فى الحياة الدنياء . . فكيف كان يمكن أن يكون لآدم ذرية ولا تناسل فى الجنة .

والحديث عن خطيئة آدم ، وأننا نتحمل هذه الخطيئة ونعذب بها فى الدنيا . . حديث يتنافى مع عدل الله سبحانه وتعالى . . لأن الله لا يعذب أحدا بذنب أحد ، ولا يعذب انسانا بخطيئة انسان آخر . . فالله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾

أى أن أحدا لا يتحمل ذنوب الآخر . . وانما يحاسب كل شخص على ما ارتكبه من ذنوب وآثام . . كل انسان يحاسب على عمله من حسنات وسيئات وطاعات . . أما قول الله سبحانه وتعالى :

﴿ وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم . . ﴾

(سورة العنكبوت الآية ١٣)

فذلك ليس معناه أن الانسان يتحمل خطأه وخطأ غيره . . بل ذلك قول الله سبحانه وتعالى عن المضلين الذين يضلون الناس فى الأرض . . ويزينون لهم طريق المعصية . . فهؤلاء يحملون أوزارهم أو معاصيهم التى ارتكبوها . . ويحملون أيضا أوزار أو معاصى الذين أضلوهم بغير علم ، لأنهم كانوا السبب وعملوا على أن يزينوا للآخرين طريق المعصية والضلال . . فهم فى هذه الحالة يحملون وزرين أو معصيتين . . وكلا الوزين أو المعصيتين هو من أعمالهم . . فالمعصية الأولى الاثم الذى ارتكبوه . . والمعصية الثانية الاثم الذى دفعوا غيرهم الى ارتكابه بتزيينه لهم بالباطل وترغيبهم فيه . . وهذا القول متمش مع عدل الله سبحانه وتعالى فى أنه :

﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾

(سورة فاطر - الآية ١٨)

وفى ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (من استن سنة حسنة فله أجرها ، وأجر من عمل بها الى يوم القيامة . ومن استن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة)

والسؤال الذى يثيره البعض هو أنه إذا كان الشيطان قد أغوى آدم ، وجعله يأكل من الشجرة المحرمة فطرد من الجنة . . فما ذنبى أنا لأطرد معه وأعيش فى شقاء الدنيا وكبدها . . السؤال بهذه الطريقة هو بعيد ومجاف للحقيقة . . فآدم لم يكن يعيش فى جنة الآخرة كما يفهم بعض الناس . . ولم يطرد من جنة الآخرة وحتى يقال انه طرد من جنة الخلد . . بل إن الجنة التى كان يعيش فيها آدم لم يكن فيها خلود . . ولم يكن فيها من النعيم ما فى الجنات التى وعد بها المتقون فى الآخرة . . بل كانت تجربة عملية يريد الله بها أن يبين لآدم وذريته كيف يكون اغواء الشيطان وما هى

نتيجته . . وكيف أن الغفلة تدخل اغواء الشيطان الى النفس البشرية . . وكيف أن الشيطان عدو للانسان . . وكيف أنه كاذب فى كل وعوده التى يمنى بها الانسان ليقوده الى معصية الله .

والله سبحانه وتعالى لم يطلق فى القرآن الكريم لفظ الجنة على جنات الآخرة فقط . . ولكنه أطلقه على كل مكان ظليل تتوافر فيه الثمار والحياة الطيبة . . وبذلك يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا ﴾

(سورة الكهف الآية ٣٢)

ويقول سبحانه وتعالى :

﴿ لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية . جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور ﴾

(سورة سبا الآية ١٥)

ويقول :

﴿ أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجرى من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات ، وأصابه الكبر ، وله ذرية ضعفاء ، فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت ، كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون ﴾

(سورة البقرة الآية ٢٦٦)

وهناك آيات كثيرة فى القرآن الكريم تعطينا الدليل القاطع على أن الله سبحانه وتعالى أطلق لفظ الجنة على جنات فى الدنيا . . وأن قول الله سبحانه وتعالى لآدم :

﴿ فلا يخرجنكما من الجنة ﴾

(سورة طه - الآية ١١٧)

ليس معناه الخروج من جنة الآخرة أو من الجنات التى أعدها الله للمؤمنين فى الآخرة . لأن آدم وذريته المؤمنة سيدخلون الجنة فى الآخرة . ولكن الله سبحانه وتعالى لم يرد أن يلقى آدم وذريته الى الحياة الدنيا ، حتى يبين لهم بطريقة عملية كيف أن الشيطان سيكون عدوا لهم وكيف سيوسوس لهم الشيطان ليقودهم الى النار . ولنبدأ خطوة . خطوة . الله سبحانه وتعالى حين خلق آدم وقال للملائكة اسجدوا لآدم ، وسجدوا الا ابليس . أراد الله أن يبين لآدم أن ابليس عدو له . وأنه سيحاول أن يجعله يفسد فى الأرض ويهلك الحرث والنسل . ويعصى أمر الله ولا يحصد الا الندامة والعذاب . فقال الله سبحانه وتعالى :

﴿ واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى . فقلنا : يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ﴾

(سورة طه الايتان ١١٦ و ١١٧)

أول شىء حدث حتى يكون عدل الله كاملا أن الله نبه آدم الى ما يريد أن يفعله ابليس . فقال له ان هذا أى ابليس عدو لكما . هنا من القرآن الكريم نعرف أن آدم حينما عاش فى المكان الذى وصفه الله بأنه جنة كانت معه زوجته حواء . أى أن الله بعد أن خلق آدم خلق حواء وفى ذلك يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ﴾

(سورة النساء الآية ١)

ويقول : ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها . . ﴾

(سورة الروم الآية ٢١)

وهكذا نعرف أن الله خلق آدم . . ثم خلق حواء من آدم . . وهكذا تمت مرحلتان من مراحل الخلق الأربع . . وهى خلق بدون ذكر أو أنثى وهو خلق آدم . . وخلق من ذكر بدون أنثى وهو خلق حواء . . ولقد خلق الله حواء من ضلع آدم .

اذن فبداية حياة آدم كانت من ذكر وأنثى . . وهكذا وضع قانون التكاثر لآدم ولكل مخلوقات الله من ذكر وأنثى كما بينا من قبل . . بين الله سبحانه وتعالى لآدم وحواء ابليس ونواياه . . وقال إن هذا عدو لكما . . وأنت إذا قلت لأى انسان إن هذا الشيء عدو له . . فانك تريد أن تحذره منه . . فاذا جاءه بنبأ لا يصدقه . . واذا اقترب منه ابتعد هو عنه . . أو اتخذ موقف الاستعداد ليواجهه وينازله . . واذا طلب منه أن يفعل شيئا . . فانه لا يفعله لأنه يعلم أن فى هذا الشيء هلاكه مادام الذى جاء به عدوا له . . واذا أعطاه الطعام والشراب وقال له كل من هذا فلا يأكل منه ، لأنه قد يكون قد دس السم له ليقتله . . واذا حدث ونسى ذلك الانسان ما قلته له محذرا بأن هذا عدو له . . تكون فى هذه الحالة أنت قد أبرأت ذمتك . . ويكون الوزر على ذلك الذى لم يستمع التحذير . .

ومن هنا نرى أن الله سبحانه وتعالى شاء عدله قبل أن يدخل آدم ليبدأ مهمته أن يحذره من الشيطان . . وأن يقول له إن الشيطان عدو يريد له الأذى والهلاك . . فكانت هذه هى البداية بالتجربة التى سيمر بها آدم . . والتى تمثل تجربة عملية لما سيحدث له فى الحياة فى الأرض ، حتى لا يقول يارب أنت لم تحذرنى من الشيطان . . ولو أنك يارب حذرتنى منه وقلت لى انه عدو لى وانه يريد ايذائى . . يريد أن يهلكنى . . لو أنك قلت لى يارب ذلك لما أطعته يارب أبدا . . ولما استمعت الى وسوسته . . ولكنك يارب ألقيتنى فى الحياة الدنيا دون أن تبين لى عداوة الشيطان . . فحسبت أنه صديق وأنه ناصح أمين . . فاتبعته يارب فكيف تحاسبنى الآن فى الآخرة على ما حدث منى بوحى من الشيطان . . حتى لا يقول الانسان ذلك لله فى الآخرة وقت الحساب . . وما أكثر الأعذار التى سيقولها الانسان فى وقت الحساب . . حتى لا يحدث ذلك . . جاء الله بهذا وقال لآدم ان الشيطان عدو لك فاحذره . . وأنا أقول لك ذلك حتى لا تأتى فى الآخرة وتقول : يارب لا تحاسبنى . . وهنا يجب أن نعرف أيضا أن التحذير لابد أن يسبق الفعل . . بمعنى أنه إذا وقع شىء يغضبك ولم تحذرنى منه من قبل فان الحساب لا يكون عدلا . . ولكن اذا حذرتنى ثم وقع منى الفعل وعاقبتنى يكون العقاب عدلا .

وبعض الناس يتساءل كيف كلم الله آدم ؟ ونحن نقول انه إما أن يكون كلمه مثلما كلم موسى عليه السلام . . واما أن يكون كلمه وحيا . . وكلا الأمرين ليس موضع جدل . . فالمهم أن الله قد أبلغ آدم أن ابليس عدو له وهنا يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك ، فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى . إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى . . وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى ﴾

(سورة طه الآيات ١١٧ و ١١٨ و ١١٩)

قول الله سبحانه وتعالى يخرجنكما من الجنة فتشقى هو الذى أثار الجدل حول الجنة التى كان يقيم فيها آدم وزوجته . . وقد بينا أن لفظ الجنة أطلقه الله سبحانه وتعالى على جنات السموات والارض . . ولكن قول الله سبحانه وتعالى ﴿ فتشقى ﴾ قد أثار جدلا . . ذلك أن معنى أنه يخرج آدم وزوجته من الجنة فيشقيان أنهما كانا فى نعيم فحرما منه . . ويبنى بعض الناس على ذلك أن هذا النعيم الذى كان يعيش فيه آدم وحواء هو الموجود فى جنات الآخرة . . ولكن الآيات التى تلت هذه الآية تصف لنا الجنة التى كان يعيش فيها آدم ، والنعيم الذى كان فيه وهو نعيم محدود جدا بالنسبة لنعيم الجنة فى الآخرة . . فالله يقول لآدم :

﴿ إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى ﴾

أى ان فى هذه الجنة الثمار والطعام الذى يحتاجه آدم فى حياته متوافرا بلا جهد . . فهو لا يجوع فيها لأن الطعام أمامه متوافر دائما . . ولا يعرى لأن الله قد أعطاه اللباس الذى يستره أو قد ستر عنه وعن حواء عورتيهما . واللباس هو ستر للعورة . . أى أن آدم فى هذه الجنة لا يحتاج الى جهد فى الحصول على طعامه هو وزوجته . . وفى الحصول على اللباس الذى يستره « وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى » أى أن آدم فى الجنة التى كان يعيش فيها الماء فيها متوفر . . وهو لا يتعب ولا يبذل جهدا للحصول على

ماء أو طعام أو لباس . . بل يعيش فى الظل والنعم التى منها مقومات حياته أمامه دون تعب أو جهد . . هذا هو وصف الجنة التى عاش فيها آدم التجربة العملية المحسة قبل نزوله ليباشر مهمته فى الأرض . . أين ذلك من جنات الآخرة . . التى فيها مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

وجنة الآخرة أولا هى جنة الخلد . . أى فيها الخلود . . والجنة التى كان يعيش فيها آدم لم تكن جنة الخلود كما سنبين بعد ذلك . . ويقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ جنات عدن يدخلونها ، يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير ﴾ (سورة فاطر الآية ٣٣)

ويقول سبحانه : « يطوف عليهم ولدان مخلدون . بأكواب وأباريق وكأس من معين . لا يصدعون عنها ولا ينزفون . وفاكهة مما يتخيرون . ولحم طير مما يشتهون . وحور عين . كأمثال اللؤلؤ المكنون »

(سورة الواقعة الآيات ١٧ ـ ٢٣)

ويقول الحق :

« إن الأبرار لفى نعيم . على الأرائك ينظرون . تعرف فى وجوههم نضرة النعيم . يسقون من رحيق مختوم . ختامه مسك . . . »

(سورة المطففين الآيات من ٢٢ ـ ٢٦)

ويقول تبارك وتعالى :

﴿ متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا . ودانية عليهم ظلالها . وذللت قطوفها تذليلا . ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا . قوارير من فضة قدروها تقديرا . ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا . عينا فيها تسمى سلسبيلا . ويطوف عليهم ولدان مخلدون . إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا . واذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا ﴾

(سورة الانسان الآيات من ١٣ - ٢٠)

واذا شئت تستطيع أن تعود الى القرآن الكريم وتقرأ ما ذكره الله سبحانه وتعالى عن الجنة فى الآخرة . . لتجد أن الوصف مختلف تماما عن الوصف الذى أورده الله سبحانه وتعالى عن الجنة التى كان فيها آدم وزوجته . . فالجنة التى كان يعيش فيها آدم فيها نعيم محدود . . وجنة الآخرة فيها نعيم بلا حدود .

وهكذا فان الجنة التى كان يعيش فيها آدم لم تكن جنة الخلد أو جنة الآخرة . . فكل الأعذار التى يحاول بعض المفسرين أن يسوقوها ليجيبوا عن السؤال الذى يقول : كيف دخل ابليس الجنة ليوقع آدم وزوجه فى المعصية . . والتى يحاول البعض جاهدا أن يقول انه دخل على هيئة كذا أو كذا . . نقول لهم ان الله لا يريد من أحد عونا على كلامه . . إن هذه الجنة لم تكن جنة الخلد . .

وابليس محرم عليه دخول جنة الخلد ولم يدخلها ولن يدخلها .

كفل الله لآدم وزوجته مقومات حياتهما بلا تعب ولا نصب . . فى مكان فيه ثمار وماء وكل مقومات الحياة . . ثم بعد ذلك علم الله سبحانه وتعالى آدم المنهج فقال له :

﴿ ويا آدم أسكن أنت وزوجك الجنة . فكلا من حيث شئتما ، ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ﴾

(سورة الاعراف الآية ١٩)

وكان هذا أول بيان لمنهج الله فى افعل ولا تفعل . . والله سبحانه وتعالى أعطى لآدم وأباح له نعما كثيرة . . أباح له كل الثمر الذى فى هذه الجنة . . وأن يأكل ما يشاء فى أى وقت يشاء وحرم عليه شجرة واحدة . . واذا نظرنا الى منهج الله فى الأرض نجد أن الله سبحانه وتعالى قد أباح من الطيبات الكثير . . وحرم القليل والقليل جدا . . فكل مقومات الحياة الطيبة مباح للانسان من الطعام والشراب والأكل الحلال والمال الحلال . . ومن الثياب ومن العمل والكسب . . ولو أحصينا المحرمات لوجدناها قليلة جدا بالنسبة للمباحات . . وهذا رحمة من الله بخلقه . . فلو أن الله حرم الكثير وأباح القليل . . لكان المنهج مشقة لا يستطيع ولا يقدر عليها الكثيرون . . ولكنه لأنه أباح الكثير وحرم أقل القليل ، جعل الدين يسرا . . وخفف عن عباده وفى ذلك يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾

(سورة البقرة - آية ١٨٥)

وهنا أيضا نأتى الى أن الله سبحانه وتعالى قد وضع مبدأ العدالة فى الأرض . . وأنه لا عقوبة بدون تجريم . . فلابد أن يأتى التجريم أولا ثم بعد ذلك تأتى العقوبة . . فاذا تمت العقوبة بدون تجريم لم يكن العقاب عدلا . . فأول شىء هو أن تجرم الفعل . . فلابد أن تقول أولا انك إذا قتلت فستعاقب بكذا ، واذا سرقت فستعاقب بكذا . . واذا فعلت كذا فستعاقب بكذا . . وهذا لابد أن يأتى قبل أن يقع الفعل بحيث إذا وقع تمت العقوبة . . أما أن يصدر قانون بأثر رجعى . . أى يطبق قبل أن يعلن تجريم الفعل فهذا ليس عدلا . . ولا يتفق مع منهج الله الذى جرم الفعل أولا . . فقال :

﴿ ولا تقربا هذه الشجرة . . ﴾

وحدد العقوبة فقال فتكونا من الظالمين . . وقال :

﴿ فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ﴾

وهكذا بين الله منهجه لآدم فى افعل ولا تفعل . . وقال ان هناك أشياء قد جرمتها ومنعتها . وأنا أخبرك بها أولا قبل أن يقع الفعل منك حتى إذا وقع الفعل يكون العقاب عدلا . . وكان هذا الاعلام هو أول ابلاغ عن دين الله للانسان . . وأول وحى علمهم ما يجب أن يكونوا عليه فى حركة حياتهم . . ولكن الله سبحانه وتعالى لم يكن ليخرج آدم الى حركة الحياة فى الأرض بدون أن يدربه تدريبا عمليا يباشر فيه واقع التجربة . . ولا يرسله الله للأرض بكلام نظرى دون واقع عملى يثبته ويبينه . . لأن الانسان قد يأخذ كلاما نظريا يقتنع به . . ولكن حين يأتى التطبيق العملى يتعذر عليه أن يجعل التطبيق متمشيا مع المنهج النظرى . . وهكذا شاءت رحمة الله بآدم الا ينزله الى الأرض بمنهج نظرى أن افعل كذا

ولا تفعل كذا . . الا بعد أن يربيه تربية دينية على المنهج . . ويبين له عمليا ما يصادف الانسان المؤمن من إغواء الشيطان واغرائه . . فاذا تمت التجربة العملية وعاشها آدم كواقع ، نزل الى الأرض ليباشر مهمته ، وهو مدرب لا بالتوجيه فقط ولكن بالتجربة . . فلم يكن الله ليخبر آدم بمنهج نظرى ثم يعاقبه على ما يقوم به . . ماذا قال الله لآدم : كلا من كل شيء ولا تقربا هذه الشجرة . . وهذا أمر بافعل ولا تفعل . . ثم حذره من اغواء الشيطان وعداوته له . . وحذره من أن الشيطان سيجعله يقع فى الخطيئة . . وهنا بدأ إغواء الشيطان . . يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ﴾

(سورة طه الآية ١٢٠)

الشيطان جاء لآدم فى المكان الذى يعيش فيه وهو ليس جنة الخلد كما بينا من قبل وقال له :

﴿ يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ﴾

واستخدم الله سبحانه وتعالى لفظ « فوسوس » والوسوسة هى صوت الحلى ورنينها . . أى أن الشيطان جذب آدم بزينة الدنيا وهى المال والحلى والشهوات . . ماذا قال الشيطان لآدم ؟

﴿ قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد ﴾

ومعنى هذا أن آدم لم يخلق ليخلد فى هذه الجنة . . ولو أنه خلق

كما سيحدث فى جنة الآخرة ما استطاع أن يغويه الشيطان ويعده بأنه سيحقق له الخلود . . إذ ماذا يهم آدم مادام قد خلق فى جنة الخلد وأن خلق خالدا أن يعصى أمر الله ليحصل على الخلود . . فى حين أنه هو فعلا خالد بحكم خلقه . . إذن الجنة التى كان يعيش فيها آدم لم تكن جنة الخلد . . والا لما أغراه الشيطان بالخلود . . وهنا نرى كيف أن الشيطان يستغل غياب التفكير السليم عن الانسان . . أو يستغل الغفلة كما نسميها . . فلو أن هذه الشجرة تهب الخلد فعلا فلماذا تضرع الشيطان الى الله أن يبقيه الى يوم الدين . . إنه كان يستطيع أن يأكل من هذه الشجرة ، ويحصل على الخلود ، ويمضى فى الكبر الذى بدأه . . ولكن الشيطان يعرف أن هذه الشجرة لا تعطى خلدا . . ولا شيئا الا السوء . . ولكنه أراد بالكذب أن يغرى آدم حتى يعصى الله ويأكل من هذه الشجرة . . وكان على آدم أن يتنبه أن الشيطان إذا كان يستطيع أن يمنح الخلد لمنحه لنفسه أولا . . وأضاف الشيطان فى اغوائه لآدم « **وملك لا يبلى** » أى مال ونعيم لا ينتهى . . وهاتان آفتا الانسان فى الأرض . . فالانسان يبحث عن خلود ولا يريد أن يموت أبدا . . والانسان فى حياته يخشى أمرين . . اما أن يفارق النعمة أو تفارقه . . يفارق النعمة بأن يموت ويترك كل ما يملك ويتنعم به فى الحياة الدنيا . . وتفارقه النعمة أى أن تزول عنه لأى سبب من الأسباب . . كأن يكون غنيا ويصبح فقيرا . . أو أن يكون ذا جاه ونفوذ فيذهب عنه الجاه والسلطان . . ذلك هو هم الانسان فى الدنيا وخوفه منها أن يفارق النعمة . .

ومن هنا تأتى وسوسة الشيطان فى المعصية . . إذا أردت

ألا تفارقك النعمة فافعل كذا وكذا . . اسرق . . زور . . نافق . . اقتل من يعترض طريقك . . افعل كل ما نهى عنه الله ولا تبال . . فانك إذا فعلت ذلك ولم تبال بمنهج الله بقيت معك النعمة . . ويندفع الانسان فى المعاصى فيسرق ويقول الزور ويقتل ويرتكب كل ما حرمه الله لتبقى النعمة معه . . ولكنها رغم كل ذلك تزول . . وهب أن هذه المعاصى قد أبقت النعمة فلم تفارق الانسان وبقيت له . . فان الانسان يفارقها بالموت . . وهنا تأتى وسوسة الشيطان فيجعل الانسان ينسى حكمة الموت أو نهاية الحياة . . فيصور له أن أمامه أعواما طويلة سيعيشها . . وأن أمامه عمرا مديدا سيستمتع فيه بهذه النعمة - وقد يكون أجل الانسان غدا . . ولكن الشيطان يوسوس له أنه سيعيش أعواما . . وأعواما . . وأعواما يبقيه فى الاثم حتى ساعة الموت وحينئذ لا تنفع التوبة . . ويكون الشيطان قد انتقم من الانسان وجعله يسلك طريق النار والهلاك . . وهذا هو هدف الشيطان فى عداوته للانسان .

ثم يمضى الله سبحانه وتعالى فيقول :

﴿ وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين ، وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين ﴾

(سورة الاعراف الآية ٢٠ - ٢١)

إذ أن الشيطان بعد أن قال لآدم وحواء انه سيدلهما على شجرة الخلد وملك لا يبلى بعد أن زين لهما ذلك . . دلهما على الشجرة ، فاذا هى نفس الشجرة التى نهاهما الله عن أن يقتربا منها . . وهنا

تردد آدم وحواء . . فمضى الشيطان يزين لهما المعصية ويقول لهما إن الله لم ينههما عن الاقتراب من هذه الشجرة الا أنهما لو أكلا سيكونان من الملائكة ويحصلان على الخلود . . وتلك أيضا كذبة استخدمها الشيطان فى الاغراء . . فآدم وحواء لم يخلقا أنفسهما ولكن الله هو الذى خلقهما . فكيف يتحولان الى ملكين ؟ والملائكة مخلوقة من نور . . والانسان مخلوق من طين . . كيف يتحولان من الطين الى النور بدون إرادة الخالق الذى طلب منهما ألا يأكلا من هذه الشجرة . . ولو أن هذا كان صحيحا من أن المخلوق يملك تغيير طبيعته ومادته بدون مشيئة الخالق . . لاختلطت الأجناس والمخلوقات . . وأصبحت السموات والأرض مجموعة من الفوضى . . ثم ان لكل مخلوق قوانين تتناسب مع مادته . . فالانسان وقد خلق من طين له قوانينه التى تتناسب مع مادته . . والجان التى خلقت من نار لها قوانين تتناسب مع مادتها ، فهى ترانا ونحن لا نراها . . مصداقا لقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم ﴾

(سورة الاعراف الآية ٢٧)

فالجان لأنه من مادة شفافة وهى النار لا نستطيع نحن المخلوقين من طين أن نراها . . والملائكة المخلوقة من مادة أكثر شفافية وهى النور ترانا ولا نراهم . . ونحن فى حساب الزمن نتحرك ببطء ونقطع المسافات ببطء مهما كانت السرعة التى نسافر بها . . والجان له قدرة أسرع على الحركة . . ويرينا الله سبحانه وتعالى ذلك حين يقول فى قصة سليمان وبلقيس فى (سورة النمل الآية ٣٩)

﴿ قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وانى عليه لقوى أمين ﴾

أى أن عفريت الجن عرض على سليمان أن يحضر له عرش بلقيس من اليمن قبل أن تصل بلقيس ورجالها . . وكانت بلقيس وقومها قد غادروا بلدهم منذ فترة من الوقت . . على أن هذا العفريت سيقطع المسافة التى يقطعها الانسان فى أسابيع أو شهور . . يقطعها فى ساعة أو أقل من الساعة . . اذن فقوانين الجان مختلفة عن قوانين الانسان . . وقوانين الملائكة تختلف أكثر وأكثر . . فكيف يمكن لآدم لمجرد أكله من الشجرة أن يتحول من مخلوق من طين الى مخلوق من نور . . ومن الذى سيحوله . . ، أهو ثمرة الشجرة التى حرمها الله . . وهل لديها القدرة على ذلك ؟ وهل تستطيع وهى مخلوقة لله أن تقوم بمثل هذا التحويل لطبيعة الأشياء . . طبعا مستحيل .

وهكذا يرينا الله سبحانه وتعالى أن الشيطان لا يدخل الى النفس البشرية الا مع الغفلة . . والا مع غياب التفكير الايمانى السليم . . وان كل ما يعد به الشيطان لو تمعنا فيه لوجدناه غرورا كاذبا . . ولكن مع هذا فانه باندفاع الناس الى حب الدنيا ينسون التفكير السليم . . وفى طمع بنى آدم فى أن يحصلوا على ما تمليه عليهم أهواؤهم يندفعون فى طريق يرفضه العقل وترفضه الفطرة السليمة .

﴿ وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين ﴾

أقسم الشيطان لهما أنه ناصح أمين لمصالحهما يريد لهما الخير . . أقسم الشيطان بمن ؟ فقد كفر بالله وهل يقبل قسم من كافر ؟ . . وهل الكافر له عهد يرجى . . أو له قسم يصان .

رغم أن آدم وحواء قد حذرهما الله ونهاهما عن الاقتراب من هذه الشجرة . . وأباح لهما كل ثمار الجنة . . يأكلان منها متى شاءا ، وحيثما شاءا . . ورغم أن الله قد حذرهما أن الشيطان لهما عدو مبين . . وأنه يريد أن يخرجهما من الجنة التى يعيشان فيها . . ورغم أن الشيطان قد استخدم حججا فى اغرائه لآدم لا تتمشى مع العقل ولا المنطق ولا قدرة الشيطان ، فقد صدقه آدم وتناول هو وزوجه ثمار الشجرة يأكلان منها ليتحولا الى ملكين خالدين ويكون لهما ملك لا ينتهى أبدا .

فماذا حدث بعد ذلك . . وأى نتيجة وصلا اليها . . ؟ هل تحولا الى ملكين فعلا . . هل وصلا الى الخلود الذى يبحثان عنه . . والى الملك الذى لا ينتهى أبدا . . والى النعمة التى لا تزول . . أم أنهما أضاعا ما فى أيديهما ووصلا الى حالة سيئة من الشقاء . . ؟

إن ذلك هو موضوع الفصل القـادم .

■ ■ ■

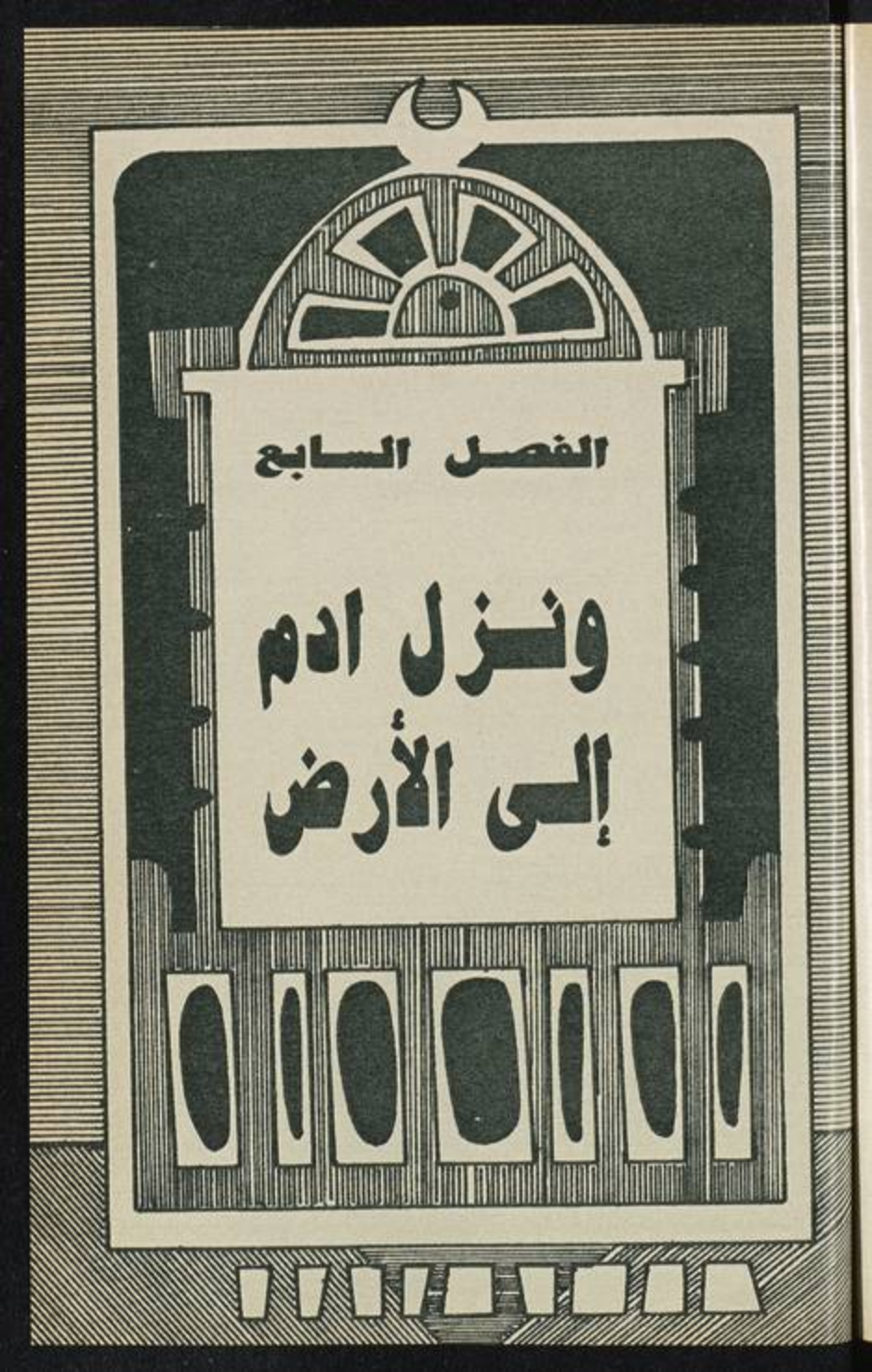

الفصل السابع

ونزل ادم إلى الأرض

أقدم آدم وزوجته على الاكل من الشجرة التى نهاهما الله عنها . . ورغم كثرة المباح فى الجنة التى كانا يعيشان فيها . . وأن المحرم هو شجرة واحدة من مئات أو ألوف الأشجار التى كانت فى الجنة . . الا فإن الشيطان استطاع أن يخدعهما ويغرر بهما ويقودهما إلى المعصية . . ولابد هنا أن نلاحظ أن الله سبحانه وتعالى عندما حرم على آدم وحواء أن يأكلا من هذه الشجرة لم يقل لهما . . لا تأكلا هذه الشجرة ، بل قال لهما لا تقربا هذه الشجرة . . ماهو الفرق فى أن يقول الله لا تأكلا ولا تقربا . . لو أن الله قال لا تأكلا من هذه الشجرة لكان المنهى عنه هو الأكل فقط . . ولكن المباح أن يذهبا ويجلسا بجوار الشجرة ، ويتأملا ظلالها وأوراقها ، وربما تنبعث رائحة جميلة منها فيتمتعان بها . . ولكن قوله تعالى :

« **لاتقربا** » معناه لا تقتربا من هذه الشجرة حتى مجرد قرب . . ولاتجلسا لتتأملا فيها . . بل إذا رأيتماها فابتعدا عنها تماما . . لماذا ؟ لأن محارم الله يجب أن يبتعد عنها الانسان حتى لايقع فيها . . لأن القرب من الشجرة قد يبدأ بعده اعجاب بالثمار . . والاعجاب بالثمار قد يؤدى إلى قطف ثمرة منها

لتتأملها دون أن تأكلها . . فاذا وصلت إلى هذه الدرجة فانك فى الغالب ستقع فى المعصية وتأكل الثمرة . . وكذلك ماحرم الله . . وكل معصية إذا اقتربت منها فانك ستقع فيها . . الذى لا يشرب الخمر مثلا إذا جلس مع الذين يشربون كانت الخطوة الأولى أنهم سيدعونه مرة ومرات إلى كأس ، أو إلى أن يتذوق قطرة منها . . فاذا رفض أخذوا يزينونها له ، ويحاولون اغراءه بأن فيها فوائد للناس . . ويعيرونه بانه لم يبلغ مبلغ الرجولة حتى يشرب وأخيرا سيقع فى المعصية وشرب الخمر . . لعلنا فى كل أحداث المعاصى التى نراها بالنسبة للخمر تبدأ بكأس واحدة ، وتحت الحاح شديد . . ثم بعد ذلك يبدأ تناول الخمر والادمان عليها . . كذلك كل المعاصى اذا اقتربت منها فانك تفتح باب الشيطان فى نفسك ، فتقع فى المعصية ،اذن فلا تقربا أبلغ وأشد فى الاحتياط من لا تأكلا . . ولذلك أراد الله بقوله « **لا تقربا** » أن يجنب البشر ذلك القرب الذى يغريهم على المعصية ويفتح فى نفوسهم الباب أمام هوى النفس واغراء الشيطان . . ولذلك يلاحظ فى القرآن الكريم أن كل شىء محرم يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ تلك حدود الله فلا تقربوها ﴾

سورة البقرة ـ الآية ١٨٧)

أى لاتقربوا المعاصى أو مجالسها . . ابتعدوا عنها . .

وإذا تتبعنا تسلسل معصية آدم واغراء الشيطان له نجد ان الشيطان قد بدأ بقوله :

﴿ هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ﴾

واستطاع أن يجذب آدم ويقربه من مكان المعصية . . وعندما

اقترب آدم من الشجرة وقع فى المعصية ، وأكل من ثمرها . . وبما أن التجربة العملية التى مر بها آدم هى للبشرية كلها . . ٤٠٠ إ٤ـ لله سبحانه وتعالى أن يفصلها تفصيلا ، حتى يعرف كل انسان من ذرية آدم كيف تتم المعصية ، وما هو الطريق الذى يقود اليها . . فلا يأتى يوم القيامة مجادلا بانه لم يعرف ولم يخبر بذلك مقدما حتى يحاسب فى الآخرة .

أكل آدم وحواء من الشجرة . . وعصيا الله وحينئذ ماذا حدث ؟ تحولا إلى ملكين ؟ . . هل حصلا على ملك لا يبلى ؟ . . لم يحدث ذلك . . يقول الله تعالى :

﴿ فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ، وعصى آدم ربه فغوى ﴾

(سورة طه الآية ١٢١)

. . ويقول الله سبحانه وتعالى فى سورة الاعراف :

﴿ فدلاهما بغرور . فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ، وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين ﴾

(سورة الأعراف الآية ٢٢)

لما أكل آدم وحواء من الشجرة ظهرت عورتاهما وأسرعا يأخذان من اوراق الشجر الموجود فى الجنة مايخفيان به هذه العورة . . فكأنما الشيطان يريد دائما أن يظهر عورة الانسان فيغريه أولا

بالشر . . ثم يوحى اليه من التصرفات ما يجعل الفضيحة تقع وهو يغريه بالسرقة مثلا . . فمتى اتخذ الانسان الشيطان وليا . . وسمع إغواءه وسرق فانه يغويه باحداث تكشف سرقته للناس وتريهم أنه لص . . فالشيطان عدو للانسان وهو يريد أن يظهر كل سيئة فيه حتى تلك التى سترها الله سبحانه وتعالى . . والانسان إذا تبع الشيطان صار مفضوحا فى كل أمره . . وهكذا عرف آدم وحواء أن الشيطان قد كذب عليهما ،وعدهما غرورا ، ليكشف عن عوراتهما التى كانت مستورة . . وهنا كان الجزاء . . قال الله سبحانه وتعالى لآدم وزوجته ألم أنهكما عن هذه الشجرة . . ألم أبح لكما من الطيبات مايكفى حياتكما ويزيد . . ألم أقل لكما لا تقربا من هذه الشجرة . . لقد كنت اريد لكما الخير . . ألم أحذركما من الشيطان أنه لكما عدو مبين . . كنت أريد لكما الخير وخلقته ويسرته لكما . . وكان الشيطان يريد بكما الشر وأوقعكما فى المعصية . . فلماذا اتبعتما الشيطان وعصيتما أمر الله . . ولم يجد آدم وحواء عذرا لما حدث . . لقد كان امامهما الحلال الطيب واتجها إلى الحرام الخبيث . . وكان امامهما الخير واتجها إلى الشر . . ولكن آدم وحواء قابلا المعصية بطريقة أخرى غير التى قابلها بها الشيطان . . فالشيطان :

﴿ قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين ﴾

(سورة الاعراف - ١٢)

﴿ قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون ﴾

فرد الأمر على الآمر . . ولكن آدم وحواء :

﴿ قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾

(سورة الاعراف - ٢٣)

أى أنك يارب الاله الحق الذى يعلم كل شىء . ويعلم أين الخير وأين الشر . . ونحن يارب مؤمنون بك الها . . فانت لم تظلمنا يارب . . وحاشا لله أن يوصف بالظلم . . ولكننا نحن الذين ظلمنا أنفسنا واوردنااا مورد التهلكة وإن لم تغفر لنا وترحمنا نكون من الخاسرين أى خسرنا النعم التى سخرتها لنا فى الجنة التى كنا نعيش فيها وخسرنا الجزاء بالخلود فى الجنة فى الآخرة . .

وفرق بين من يتهم نفسه بأنه ظلمها ويعترف أن أمر الله هو الحق . . وأنه لم يقدر على حمل نفسه على الطاعة . . وبين من ينكر على الله والعياذ بالله حكم ألوهيته . . وهكذا شرعت الخطيئة والتوبة فى الأرض . . وفتح الله باب التوبة للانسان حتى إذا أخطأ يقول يارب ظلمت نفسى وعدت إلى الحق فتقبل توبتى . . ولذلك فانك إذا أنكرت حكما من أحكام الاسلام نقول لك أأنت تنكر أحكام الله . . فاذا قلت فأنت والعياذ بالله كافر . . إذا لم تصل مثلا . . وسألناك لماذا لاتصلى فقلت أنا لا أومن بالصلاة ولا أصدقها . . وهذه الصلاة ليست عبادة . . وليست لها أى حكمة . . فانت فى هذه الحالة قد كفرت . . ولكنك إذا قلت ان الصلاة حق وأن الله سبحانه وتعالى قد فرضها وأنا مؤمن بها . . ولكنى لا أستطيع أن أحمل نفسى عليها . . ففى مرات أنسى . . وفى مرات أتكاسل فانت عاص تجب عليك التوبة والرجوع إلى منهج الله . .

وهكذا أراد الله أن يرى البشرية كلها . . وقبل أن تبدأ حياة البشر على الأرض . . الفرق بين الكفر والعصيان . .

عندما نصل إلى هذه النقطة تكون التجربة العملية قد انتهت . . فالله سبحانه وتعالى خلق آدم وكرمه وفضله وأباح له من الطيبات مايحفظ مقومات حياته . . ولكن الشيطان جاء ليفسد هذا كله ويقود الانسان إلى المعصية . . وهنا تدخل الضعف البشرى والطمع البشرى . . ليجعل الانسان يخرج عن منهج الله وفى هذا يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما ﴾

(سورة طه - الآية ١١٥)

وهكذا يكون آدم قد تم اعداده اعداد عمليا ليمارس مهمته على الأرض . . وأنه قد يبين له المنهج فى أن الله سبحانه وتعالى سيبيح له أشياء كثيرة . . ويحرم عليه أشياء قليلة . . ثم دخل فى تجربة عملية ظهر فيها ان الشيطان كاذب . . وأنه يريد أن يوقع آدم فى التهلكة . . ثم وجدت المعصية فعصى ربه . . ثم شرعت التوبة لأن آدم اعترف بأنه ظلم نفسه . . وبعد هذا الاعداد العملى الذى مر فيه آدم بتجربة الطاعة والمعصية نزل إلى الأرض ليمارس مهمته :

﴿ قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حينا قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون ﴾

(سورة الاعراف الآيتان - ٢٤ ، ٢٥)

نلاحظ قول الله سبحانه وتعالى اهبطوا مع أن آدم وحواء اثنان فقط . . ثم يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ بعضكم لبعض عدو ﴾

. . فكيف يتم الخطاب لاثنين فى قوله « بعضكم لبعض »

. . والذين يقولون ذلك لا يتنبهون إلى ان آدم قد خلق وفى ظهره كل ذريته إلى يوم القيامة . . ذلك أن أولاد آدم منهم من آدم . . وأحفاده فيهم من آدم . . لأنهم أخذوا من أولاده وأحفاده أحفادهم فيهم من آدم لانهم أخذوا عن أحفاده الذين أخذوا عنه . . ونوضح ذلك . . لو أتينا باناء فيه لون أحمر ثم جئنا باناء أوسع به ماء ووضعنا فيه هذا اللون يكون فى السائل الجديد جزئيات من اللون الأحمر وإن كانت أقل تركيزا . . واذا جئنا باناء ضخم هائل مملوء بالماء ووضعنا فيه السائل المختلط باللون الأحمر يكون فى الاناء الجديد اللون الاحمر فى جزئيات أقل وهكذا . . أنت أخذت من أبيك . . وابوك أخذ عن جده . . وجده أخذ عن جد جده ، ونظل نسلسل هذا حتى نصل إلى آدم . . فأنت فيك جزء من آدم . . وهكذا كان قول الله سبحانه وتعالى خطابا للبشرية كلها التى هى ذرية آدم . . وحين يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ بعضكم لبعض عدو ﴾

. . فانه ينبهنا إلى أن آدم خلق يمثل أنواعا من البشر . . نوع بنوه معصومون لايعصون الله . . ونوع مؤمن . . يقع فى الخطأ والخطيئة ويتوب . . ونوع يكفر بخالقه . . ومادام آدم أبا لكل هذه الأنواع فلا بد أن يتمثل فى خلقه وتكوينه الانواع كلها . .

النوع المعصوم بالنبوة . . والنوع المؤمن الذى ينسى ويعصى ولا يملك أن يسيطر على نفسه أمام نزواته وشهواته ولكنه يتوب إلى الله . . ونوع والعياذ بالله يكفر بخالقه ويعبد الشيطان . . وبما أنه سيكون من ذرية آدم النبى والمؤمن والكافر . فهؤلاء جميعا سيقع بينهم صراع . . فالايمان دائما يقابل بصراع من الكافرين الذين يريدون أن يحتفظوا بترف الدنيا ويظلموا الناس ويحاربوا كلمة الحق . . ما أن النزوات والشهوات المختلفة المتعارضة بين الناس . . تجعل بعضهم لبعض عدوا فى صراعات الدنيا فكأنما العداوة تأتى من نوعين . . عداوة بين الكفر والايمان . . أو الحق والباطل . . وعداوة بين الكفر والكفر وهو صراع النزوات والأهواء . . ولكن لا توجد عداوة بين الايمان والايمان لأن المؤمنين قد وحد الله هدفهم بمنهج واحد لا يشذون عنه وجمعهم على الهدى ، ولم يجعل فى أنفسهم صراعات الدنيا بنزواتها وأهوائها . .

وهكذا كان خطاب الله لآدم على ماسيحدث لآدم وذريته بعد الهبوط إلى الأرض . .

﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم ﴾

(سورة البقرة - الآية ٣٧)

. . عندما نزل آدم إلى الارض تلقى صيغة الاستغفار والتوبة إلى الله سبحانه وتعالى من المعصية التى ارتكبها . . وظل آدم نادما على أنه عصى الله يردد كلمات التوبة ، وهى أول صلاة وتضرع لله من الانسان على الأرض . . وهنا تاب الله على آدم . .

أى غفر له خطيئته التى ارتكبها ، ولم تصبح هناك خطيئة تحملها البشرية على اكتافها إلى يوم القيامة . . لقد تمت التوبة وقبلها الله وبدأت صفحة جديدة من حياة آدم على الأرض . . وهكذا لايحمل كل منا على كتفيه خطيئة آدم كما يدعى البعض . . بل كل منا يحمل خطاياه وأعماله وحده . . ولقد ضرب الله فى القرآن عدة أمثلة لذلك . . واختار سبحانه وتعالى الانبياء حتى لايقول أحد لماذا ضرب الله بى مثلا ، فيحمل على كتفيه وزرا . . بل نقول جميعا مادام أن الله ضرب هذه الأمثلة بالأنبياء الذين هم قمة الايمان . . فهى بالأولى تطبق علينا جميعا . . ضرب الله مثلا بالعم الذى يمثل منزلة الاب فى ابراهيم . . وبالابن فى نوح . . وبالزوجة فى لوط ونوح . . وبالزوج فى امرأة فرعون والاب والابن والزوج والزوجة هم أقرب الناس بعضهم إلى بعض . . ومع ذلك فكفر من هو فى منزلة الاب أو العم بالنسبة لابراهيم لم يمس ايمان ابراهيم ومنزلته عند الله . . وكفر ابن نوح وامرأته لايمسان قدر نوح ومنزلته . . وكفر امرأة لوط لا يمس منزلة لوط . . وكفر فرعون لم يمس ايمان امرأة فرعون . . وفى هذا يريد الله سبحانه وتعالى أن يؤكد لنا أن أحدا لايحمل يوم القيامة على كتفيه الا أوزاره . . ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يافاطمة بنت محمد . أنا لا أغنى عنك من الله شيئا ، لا يأتينى الناس بأعمالهم يوم القيامة ، وتأتون أنتم بأنسابكم) . . وفى هذا ايضاح وتأكيد بان التوبة على آدم قد محت معصيته فى التجربة الايمانية التى مر بها . . وان البداية على الأرض بداية جديدة تماما . .

حينما أمر الله سبحانه وتعالى آدم أن يهبط على الأرض حدد له طريق الايمان . . وقال سبحانه وتعالى :

﴿ قلنا اهبطوا منها جميعا . فاما يأتينكم منى هدى . فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾

(سورة البقرة الآيتان ٣٨ - ٣٩)

. . وهكذا حدد الله المنهج لآدم وذريته فقال ان الهدى سيأتى منى على نفس الاسس التى حدثت لآدم فى الجنة بافعل ولا تفعل . . سأقول لكم هذا حلال فافعلوه ، وهذا حرام فاجتنبوه . . وقد خلقتكم صالحين للطاعة وصالحين للمعصية . . وجعلت لكل منكم مقعدا فى الجنة ومقعدا فى النار . . فالذى يتبع هدى الله ويعمل بمنهجه يأخذ مقعده فى الجنة ويرى مقعده فى النار حتى يحس بالفوز العظيم الذى حصل عليه بالايمان . . وكيف نجاه الله من عذاب رهيب . . والذى يعصى الله ويكفر به يتبوأ مقعده من النار . . ويريه الله مقعده فى الجنة ليعرف كم خسر . . وكيف أنه خسر خسرانا مبينا . . وهكذا أنبأ الله البشرية كلها من أول بدايتها بأنه ستكون هناك رسالات من السماء تحمل هدى الله إلى الانسان . . وان هذه الرسالات ستأتى لتذكر الانسان بالمنهج . . وتبين له العذاب الذى ينتظره على جريمة المعصية والكفر . . والرسالات تأتى عندما تنسى البشرية منهج الله ، وتحيد عنه ، وتنطلق فى هواها ونزواتها ويضلها الشيطان ويبعدها عن المنهج . .

ولقد اختار الله أولئك الذين يحملون منهجه إلى بنى آدم من البشر . . من ذرية آدم . . لماذا ؟ . . لأن الرسول فى حياته يمثل تطبيقا عمليا لمنهج الله . . ولذلك فهو لايأتى بالمنهج من الله ليقول : افعل كذا ولا تفعل كذا ، ثم يختفى بعد ذلك . . ومادام قد جاء بالنظرية فقد أنهى مهمته . . ومن يطبقها يطبقها ومن لايطبقها لايطبقها . . ولكنه جاء بالمنهج وتطبيقه . . فهو يأتى بالمنهج ويطبقه على نفسه أولا ، ويكون قدوة لمن يتبعونه . . وهؤلاء ينقلون القدوة إلى من بعدهم وهكذا . . ولكى يكون الرسول مطبقا للمنهج ، فلا بد أن يكون بشرا . . ذلك لأنه لو كان ملكا أو فى مرتبة اعلى من البشر لقال الناس : لقد حملنا الله مالا نطيق . . فهذا ملك له قدرات ليست لنا . . وهذا رسول له قدرات فوق قدراتنا . . ولكن كون الرسول بشرا . . وكونه جاء وطبق المنهج على نفسه دليل على أن هذا المنهج فى قدرة البشر ، ويستطيعون أن يطبقوه على أنفسهم لأن الرسول له نفس قدراتهم . . فلا يقبل عذر لأحد بعد ذلك من أن يقول ان منهج الله فوق قدرات البشر . .

ثم يوجه الله سبحانه وتعالى قوله للبشرية كلها محذرا من الشيطان ووسوسته ، مذكرا بالتجربة التى مر بها آدم فيقول :

﴿ يابنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوءاتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون ﴾

(سورة الاعراف - الآية ٢٦)

. . أى أن الله سبحانه وتعالى يذكر خلقه بأن العورة التى

كشفها ابليس عندما أغرى آدم على المعصية وأوقعه فيها قد علم الله الانسان كيف يرتدى لباسا ليسترها ويداريها . . بل ان الله سبحانه وتعالى زاد على ذلك بأن أعطى الانسان الرفاهية . . فلم يعطه الضرورى من الملبس ، بل أعطاه الريش أى الرفاهية . . وأعطاه فوق ذلك لباس التقوى . . أى أن التقوى تستر عيوب الانسان وتداريها . . وتظهر الطيب منه وتنميه . . فالانسان الذى يلزم التقوى هو انسان مظهره طيب وخلقه طيب ، ولباسه طيب ، لأن الملبس الذى أمر به الله للرجل أو المرأة يغطى كل العورات ، ولايظهر منها شيئا . . ويجعل مظهر الانسان طيبا ومقبولا . . والانسان المؤمن إنما يحاول أن يجمح شهوات الايذاء والاساءة والضرر للآخرين فى نفسه . . فكأن التقوى هى لباس يستر بها كل هذه العيوب التى تسىء إلى الناس ، وتجعلهم ينفرون منه . والنفس التى تنشأ فى تقوى الله هى نفس طيبة . . تسعى دائما للخير وتصبر على المكاره . . وهى نفس محببة تساعد المحتاج وتنصر المظلوم وتحسن إلى الناس . . فالله سبحانه وتعالى صور التقوى على انها لباس لأنها تستر السيىء وتمنعه من الظهور . . وتجعله مختفيا . . وتتعامل بالقيم ولا تقدم على مايعيب . . ويقول الله ان ذلك خير . . أى أن الانسان المؤمن أو الجماعة المؤمنة هى للخير للبشرية كلها . . تنشر الخير أينما وجدت . . وتمنع الشر كلما استطاعت . . وذلك من آيات الله سبحانه وتعالى أن جعل الايمان بهذه الصورة الجميلة ليتذكر الناس كيف ان الايمان ينشر الخير . . وينشىء المجتمع المستقر المنسجم مع نفسه ومع الكون كله . . فاذا تذكر الناس ذلك انضموا إلى مواكب الايمان التى فيها صلاح البشرية كلها . .

ويوجه الله سبحانه وتعالى تحذيره إلى البشرية كلها :

﴿ يابنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما انه يراكم هو وقبيله ، من حيث لاترونهم ، انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لايؤمنون ﴾

(سورة الاعراف - الآية ٢٧)

يوجه الله تحذيره للبشرية كلها لأن الشيطان الذى أمهله الله إلى يوم القيامة سيواصل عداوته للانسان . . وسيحاول ان يخرجه من الجنة كما أخرج أبويه آدم وحواء . . وسيتم ذلك بطريق الفتنة والاغواء . . يريد الله أن يلفتنا إلى أن الشيطان سيحاول أن يفتننا بالزيف عن الحقيقة . . كيف ذلك ؟ ان منهج الله يوجهنا إلى النفع الحقيقى فى الحياة الدنيا والآخرة . . ولنضرب مثلا يقرب ذلك للاذهان . . هب أننى أملك مزرعة للقمح . . جاءت بمحصول عشرة أرادب . . أنا أولا أبقى من هذه الارادب العشرة أردبين لازرعهما فى الموسم القادم . . ثم اتصرف فى الباقى . . ماأبقيته هذا أنقصته من انتفاعى العاجل به . . فقد كنت أستطيع أن أبيعه وأستفيد بثمنه . . وكنت أستطيع أن آكله وأستفيد منه . . ولكن لو فعلت ذلك أكون قد فعلت الصواب أو الخطأ . . لو أننى بعت الأردبين أو أكلتهما أكون قد فعلت الخطأ رغم أننى حققت نفعا عاجلا . . ذلك أنه سيأتى الموسم القادم وليس لدى بذرة ، ويضيع كل شىء وبذلك لاأجد ماآكله ولا ماأبيعه وأجد نفسى فى ضيق . .

والانسان يريد النفع لنفسه . . وكل انسان يريد النفع لنفسه . . ولكن هناك من يتعجل النفع . . مثل ذلك الذى باع بذرة الموسم الزراعى القادم أو أكلها . . وهناك من يعرف أين النفع مثل ذلك الذى أبقى هذه البذرة . . وكلنا يقينا نعرف أن هذه الحياة ستنتهى . . ولم يخلد انسان واحد حتى الانبياء . . لم يفلت انسان واحد من الموت . . والله سبحانه وتعالى قد وعدنا بأن يمتعنا فى الآخرة التى هى دار الخلود . . وسيكون التمتع فيها على قدرة الله سبحانه وتعالى . . أى فوق قدرة البشر مجتمعين . . ولقد كنت فى شيكاغو فى الولايات المتحدة الأمريكية . . وأراد بعض الناس أن يبهرونى . . فانزلونى فى أحدث الفنادق التى تتم فيها الخدمة بالعقول الالكترونية والتى تفنن المهندسون فى وضع لمسات الجمال والمتعة والرفاهية فيها . . وقالوا مارأيك فى هذا التقدم ؟ . . قلت إذا كانت هذه الرفاهية والمتعة قد استطاع الانسان أن يوفرها للانسان بعلمه المحدود . . فكيف المتعة فى الآخره التى يوفرها الله بعلمه وقدرته التى هى بلا حدود لعبده المؤمن . . ولذلك فاننا يجب أن نعتبر أن الحياة الدنيا ومايضع الايمان فيها من قيود على هوى النفس هى مقدمات للجنة . . ومايعطى فيها من نعيم على حسب قدرات الله . .

والعجيب أننا نرى الأب يلاحق ابنه سنوات طويلة يسهر ويتعب ويشقى فى المذاكرة ، ويظل يلاحقه ليل نهار فاذا سألته لماذا يفعل ذلك قال لاضمن مستقبله . . ومع ذلك فانه لايطلب منه مرة واحدة بان يصلى . . ولا يعاتبه على تركه الصلاة . . بينما التعب فى المذاكرة مبنى على ظن ، فقد يأتى للتلميذ أجله قبل أن

يحصل على شهادته . . وقد يحصل على الشهادة ، ثم يخيب فى الحياة الدنيا ولا يحصل شيئا فى حين أن الايمان جزاؤه مضمون لأنه فى الآخرة . . ولا أحد لايصل إلى الآخرة . . ولقد وضع الله سبحانه وتعالى فى كل قوانينه . . ان تقدم العمل أولا ، ثم بعد ذلك تحصل على الثمرة . . فالتلميذ لابد أن يتعلم ليحصل على شهادة . . والصانع يشقى ويتعب ليأخذ الأجر . . ولكننا نرفض أن نتعامل مع الله بنفس القوانين التى نتعامل بها فى الدنيا ، فلا نقدم العمل الصالح حتى ندخل الجنة . .

ولذلك فان مهمة الشيطان فى افساد منهج الله أن يفتنك بالعاجل عن القادم . . فانت تريد مالا لمتاع فى الدنيا ، وتنسى وأنت تسرق هذا المال أنك تضيع المتاع الأكبر فى الآخرة وأنت لك شهوات فى الدنيا ، وتنسى أنك اذ راعيت الله فيها أعطاها لك أكثر فى الآخرة . . ومهمة الشيطان هو أن يجعلك تستغنى بالشىء العاجل الذى له نفع ظاهرى عن النعيم الحقيقى الذى أعده الله لك . . فأنت مهما ملكت فى الدنيا فأجلك محدود وقدرة تمتعك محدودة . . فاذا نهكتها أتتك بعكس النتيجة . فالذى يسرف فى الطعام يمرض ويحرمه الأطباء من الأكل . . والذى يسرف فى الشهوات يضعف وينهار ويحرم منها . . والذى يسرف فى السهر فى معصية الله . . يأتى عليه الوقت الذى لا بد أن يختار بين أن ينام مبكرا أو ينام فى فراشه لا يقدر على الحركة . . ولكن قصر نظر الانسان يجعله لا يقدر هذا كله . . ولذلك يحذرنا الله من هذه الفتنة . . فالشيطان من مهامه فى الحياة أن يدخل الخوف إلى النفس البشرية فيجعلها تعبده . . والايمان مهمته ان يدخل

الشجاعة والطمأنية إلى النفس البشرية ، ويجعلها تعبد الله . . وإذا جاءت قضية حق ضد صاحب نفوذ حاول الشيطان أن يدخل الخوف إلى نفسك ، ويقول لك اياك ان تقول كلمة الحق . . اكذب ونافق واشهد الزور ، لأنك اذا قلت الحق فان صاحب النفوذ هذا سيضرك ويقضى عليك فى حين أن الايمان يقول لك قل كلمة الحق ترضى الله والله يحفظك فهو أكبر وأقوى من كل صاحب نفوذ . . ولذلك اذا دخل الخوف من زوال الدنيا فى نفسك دخل معه الشيطان فأخذك بعيدا عن منهج الايمان . . وبدلا من أن يكون لك اله واحد وهو الله . . أصبح لك آلهة متعددة فانت تريد أن ترضى هذا . . وترضى هذا . . وترضى هذا كذبا وزورا . . وفى النهاية تجد أنك خسرت الدنيا والآخرة . . وذلك هو الخسران المبين . .

ولذلك فان الله سبحانه وتعالى يحذرنا من فتنة الشيطان . إنه يريد أن يخرجنا من جنة الايمان فى الدنيا . . وماهى جنة الايمان فى الدنيا ؟ هى الانسجام مع الكون وعبادة الله وحده . . فالذى يعبد الله يعيش عيشة راضية داخل نفسه . . انظر إلى أى انسان يفعل امرا حلالا . . انه يقف امام الدنيا كلها ويفعله . . ضميره مستريح تملأ الراحة نفسه . . وانظر إلى انسان يرتكب إثما تجده يتلفت حوله ، ويحرص على ألا يراه أحد . . ويخاف إذا طرق طارق الباب . . إذا كنت أنت وزوجتك فى المنزل وجاءت الدنيا كلها فانت تستقبلها بنفس مستريحة . . إذا كنت انت وامرأة أخرى زوجة غيرك مثلا وطرق الباب . . ماذا سيحدث لك ؟ إذا كنت تمسك فى يدك بمال حلال وعرف الناس لا يهمك شىء . .

إذا كان المال حراما تحاول أن تخفيه ، وتنفقه سرا ، وتشقى فى اخفائه حتى لايسألك أحد من أين جئت بهذا المال ، فتضعه باسم ابنك ، أو باسم زوجتك ، أو باسم صديق لك . . وقد يأخذه ويبدده فلا تستطيع ان تفعل شيئا . . إذن فالمؤمن يعيش فى جنة الايمان ، لأن مايفعله كله حلال وهو لايتعرض لفضيحة أبدا مادام يتبع منهج الله والذى يتبع الشيطان يعيش فى شقاء الخوف من أن ينكشف أمره ، أو تظهر سوءاته للناس فيعرف الناس الحقيقة ، وحينئذ تكون عوراته قد انكشفت فليست العورة فى الجسد فقط ولكنها فى الخلق وفى التصرفات وفى كل عمل لايرضى الله . .

ثم يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ انه يراكم هو وقبيله من حيث لاترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لايؤمنون ﴾

(سورة الاعراف آية ٢٧)

أى أن الشيطان فى عداوته الرهيبة للانسان يتتبع كل خطواته وهو يرى الانسان . . يراه حين يسرق بعد أن زين له السرقة . . ويراه حين يزنى بعد أن زين له المعصية . . وهو بذلك يعلم عن الانسان أفعاله . . ويستطيع أن يستخدمها فى الايقاع بين البشر بعضهم البعض واثارة الفتن بينهم والعداوة والبغضاء . . ولذلك لاتجعلوا للشيطان سلطانا عليكم بارتكابكم المعاصى ، لأن الانسان المؤمن ليس للشيطان سلطان عليه . . وكل مايفعله لا يشين . . وكل مايقوم به لا يحرص على اخفائه . . ولذلك لا يجد الشيطان وسيلة للايقاع بينه وبين الناس الا أن يسلط عليه

شياطين الانس فيؤذوه ويتهموه بالباطل . . وفى تلك الحالة يأتى الاتهام بعكس النتيجة لأن الباطل لا يقف أمام الحق . .

والله سبحانه وتعالى قد جعل الشياطين أولياء للذين لايؤمنون . . أى أن كل من استغنى عن الايمان استغنى الله عنه . . والله كما قلنا ليس محتاجا لأحد من عباده . . ومتى ابتعد الانسان عن الله فان الشيطان يصبح وليه الذى يوحى له بما يفعل . . وهكذا يضيع هذا الانسان لأنه ملك عدوه منه . . وأنت إذا ملكك عدوك هلكت . . وعداوة الشيطان للانسان مريرة . . فهو يريد أن يكون مصير كل بنى آدم النار . . حتى لا يلقى هو وذريته وحده فى جهنم ويتميز بنو آدم بالنعيم . .

إلى هنا نكون قد وصلنا إلى نهاية هذا الكتاب . الذى حاولت فيه أن أبين فيه كيف أن الله سبحانه وتعالى حين أعد آدم لمهمته فى الحياة كرمه غاية التكريم ، وفضله على كثير من خلقه . وسخر له مافى الأرض ومافى السموات . . وبين له عداوة الشيطان . وكيف أنه لا يأتى منه الا السوء والشر . . وأمام هذا البيان الشامل المعجز من الله سبحانه وتعالى أعطى الانسان حرية الاختيار فيما يفعل ولا يفعل . . وصدق الله العظيم اذ قال :

﴿ لا إكراه فى الدين . قد تبين الرشد من الغى . فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم ﴾

(سورة البقرة ـ الآية ٢٥٦)

■ ■ ■

كتاب اليوم

أسسه

مصطفى أمين وعلى أمين

ثقافة اليوم وكل يوم

رئيس مجلس الإدارة :

طلعت الزهيرى

العدد ٢٥٦ رمضان ١٤٠٦ / ١٠ مايو ١٩٨٦

آيار

الصحافة ت ٧٥٨٨٨٨ عشرة خطوط

تلكس دولى ٩٢٢١٥ ـ محلى ٩٢٢٨٢

الاشتراكات

جمهورية مصر العربية :

قيمة الاشتراك السنوى ٦ جنيه مصرى

البريد الجوى

دول اتحاد البريد ١٥ جنيه مصرى العربى والافريقى ١٣ دولار امريكى اوما يعادله باقى دول العالم واوربا ٢٠ جنيه مصرى والامريكتين واسيا واستراليا ١٨ دولارامريكى اوما يعادله

● ويمكن قبول نصف القيمة عن ستة شهور

● ترسل القيمة إلى الاشتراكات ٣ ا ش الصحافة

انقاهرة ت ٧٤٨٨٤٤ (٥ خطوط)

أسعار كتاب اليوم

المغرب	١٢٥٠ فرنك
لبنان	١٤٠٠ ق ل
الأردن	٦٠٠ فلس
العراق	١٥٠٠ فلس
الكويت	٧٠٠ فلس
السعودية	٧ ريالات
السودان	١٥٠٠ مليما
تونس	١٢٥٠ مليما
الجزائر	١٢٥٠ سنتيما
سوريا	١٤٠٠ ق.س
الحبشة	٦٠٠ سنت
الخليج	١٢٠٠ فلس
غزة	٧٥ سنت
اليمن	٨٠ بنى
الصومال نيجيريا	٨٠ بنى
السنغال	٦٠٠ فرنك
هولندا	٥ فلورين
انجلترا	١٠٠ بنى
فرنسا	١٠ فرنك
إيطاليا	٢٠٠٠ ليرة

فى الخارج

المانيا	٥ مارك
باكستان	٣٥ روبية
سويسرا	٤ فرنك
اليونان	١٠٠ دراخمة
النمسا	٤٠ شلن
الدنمارك	١٥ كرونات
السويد	١٥ كرون
الهند	٣٥٠ سنتا
كندا امريكا	٣٠٠ سنت
البرازيل	٤٠٠ كروبزو
نيوزيلاند	٣٥٠ سنتا
لوس انجلوس	٤٠٠ سنت
استراليا	٤٠٠ سنت

رقم الايداع بدار الكتب والوثائق القومية ٨٦/٣٤٥٩

الترقيم الدولى ٦ ـ ١٣٤ ـ ١٢٤ ـ ٩٧٧ ـ isbn

●●كتاب اليوم ●● عدد أول يونيو ●●

كأس العالم بين يديك كأس العالم بين يديك
كأس العالم بين يديك كأس العالم بين يديك
كأس العالم بين يديك كأس العالم بين يديك

كأس العالم بين يديك

كأس العالم بين يديك كأس العالم بين يديك
كأس العالم بين يديك كأس العالم بين يديك
كأس العالم بين يديك كأس العالم بين يديك
كأس العالم بين يديك كأس العالم بين يديك
كأس العالم بين يديك
كأس العالم بين يديك

ممدوح الشافعى

كأس العالم بين يديك كأس العالم بين يديك
كأس العالم بين يديك كأس العالم بين يديك
كأس العالم بين يديك كأس العالم بين يديك

●●●● ترقب صدوره ●●●●

بسم الله الرحمن الرحيم

بمناسبة شهر رمضان المبارك .. والأعياد

يسر
محلات

سرور

أن تقدم
لجميع السادة العملاء التهنئة
وتنتهز هذه الفرصة لتقدم لهم:

أرقى أنواع الملابس
حريمى ورجالى وأطفال
وقسم خاص على أرقى
مستوى لملابس المحجبات
والتحف والعطور والأدوات المنزلية

٣٤٠٠٣٥٥ - ٣٤١٩١١٩

١٨ شارع نادى إمبابة الرياضى - إمبابة

معجزة القرآن

محمد متولى الشعراوى

٥٠ قرشا

BP
130
.7
S529
JUZ'8